للناشئين والشباب

12

روائع الأدب العالمي

في كبسولة

عرض وتبسيط : **حسين عيد**

1- عودة أمري
2- بوتزي الصغير
3- ورق حائط أصفر
4- الرأس الذي سقط
5- من يدري؟
6- الاكتمال
7- الأسد
8- ثلاث سنوات

مكتبة الدار العربية للكتاب

روائع الأدب العالمي 12
في كبسولة

عيد ، حسين .

روائع الأدب العالمي في كبسولة (12) / عرض وتبسيط حسين عيد . ــ ط 1 ــ

القاهرة : مكتبة الدار العربية للكتاب ، 2013 .

192 ص ؛21 سم . (روائع الأدب العالمي في كبسولة للناشئين والشباب ؛ (12)

تدمك : 978-977-293-702-8

1 – الأدب 800.

أ ــ عيد ، حسين (عرض وتبسيط) .

رقم الإيداع : 10542 / 2013

مكتبة الدار العربية للكتاب

16 عبد الخالق ثروت القاهرة .

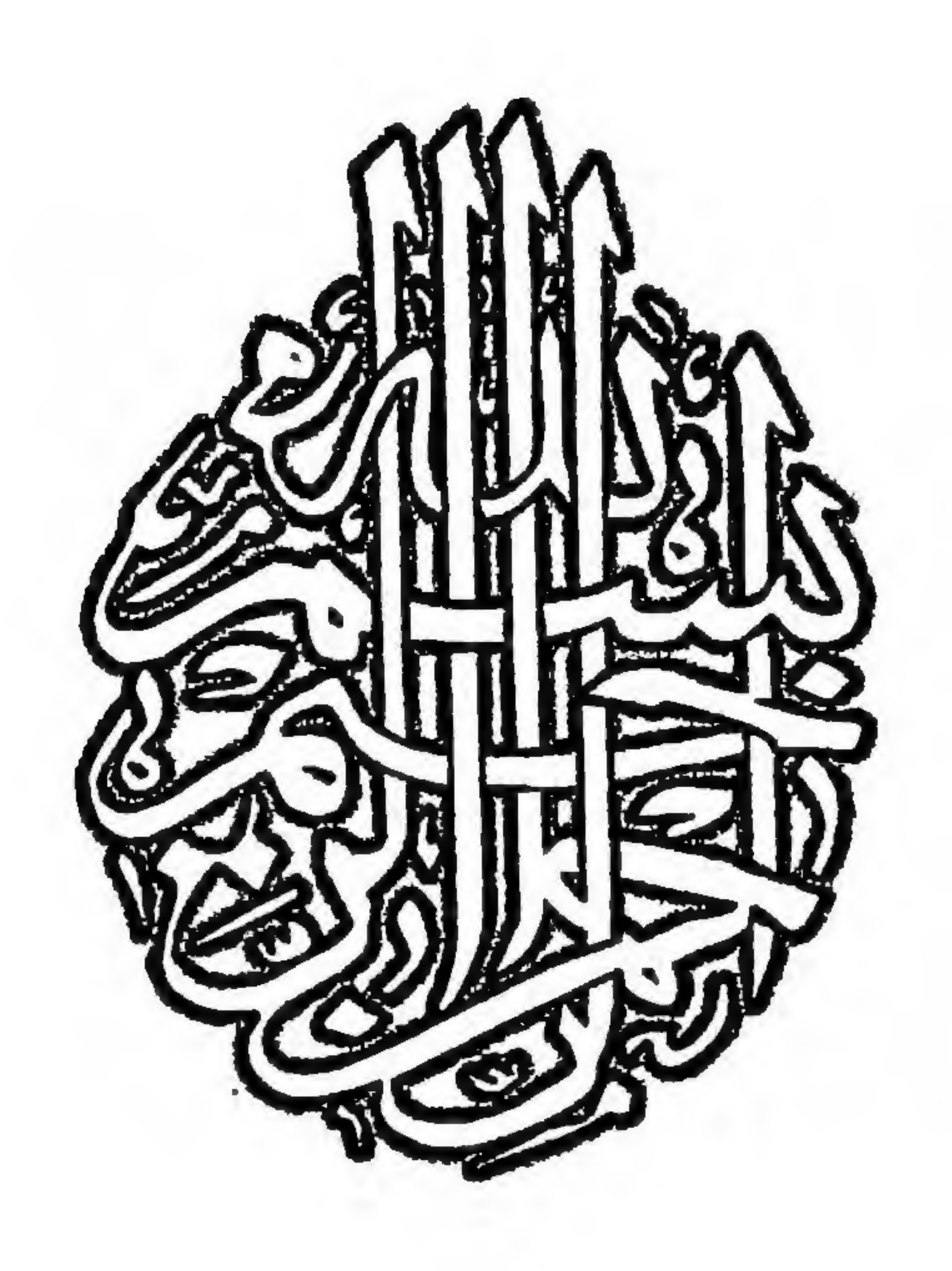
تليفون: 23910250 202 +

فاكس: 23909618 202 + – ص.ب 2022

E-mail:info@almasriah.com

www.almasriah.com

الطبعة الأولى : رجب 1434هـ ـــ مايو 2013م .


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

مقدمـــة

تتكون هذه الباقة الجديدة من ثمانية أعمال من روائع الأدب العالمي. يأتي في مقدمتها من قرية هندية «عودة أمري» للإنجليزي «رديارد كيبلنج» التي تتناول طقس الحسد الذي يؤمن به سكانها وما نتج عن تجاهله من انتقام عند تعامل الأجانب مع الوطنيين. ويليها من النمسا «بوتزي الصغير» لـ «لودويج بمبلمانز» التي تعبّر عن مأزق منظم حفلات موسيقية للتنبؤ بالطقس حتى تقام عروض الموسيقى في الداخل، ويعقبها «ورق حائط أصفر» للأمريكية «شارلوت بيركنز جيلمان» ، التي تبرز وعي امرأة لحالتها النفسية في مواجهة تعسّف زوج طبيب يتولى علاجها. ثم تكشف قصة «الرأس الذي سقط» للياباني «ريونسكيه أكوتاجاوا» افتقاد الوعي الذاتي لإمكانات شخص ممّا أودى به إلى خسران حياته في شجار عابر ! يليها من أوروبا «من يدري؟» للفرنسي «جي دي موباسان»، التي تبيّن عدم استيعاب وفهم ما يحدث في الواقع من أحداث غامضة مثيرة. وفي العمل السادس «الاكتمال» للأمريكي «جون جالزوورثي» اندماج رجل في تأليف قصص وروايات بناءً على دعوة امرأة فيمضي في التأليف والنشر على نفقته الخاصة حتى يكتشف عبث ما يكتب! وتتجلى في «الأسد» للروسي «يفجيني زمياتين» علاقة حبّ مرحة سريعة بين طرفين! وتستكشف رواية «ثلاث سنوات» للروسي «آنطوان تشيكوف» كيف يكون مآل علاقة حبّ من طرف واحد!

وكلي أمل أن يجد فيها القراء بعض المتعة والفائدة.

حسن عيد

عودة أمري

"كانت الأبواب واسعة. تقول القصّة
جـــاء مـن الليـــل شبــح مـــريـض
إنـــه لن يتكلـــم، ولـن يعكـر صفـــو
شعـــر البـــارون المنقـــط بالأبيـــض
ظـــلّ رقيـــق دون حـــديث أو قـــوّة
طـــاف بالقلعـــة بحثـــاً عـن مثيلـــه
أوّاه، كـــان مـــا رؤي شيئـــا بـــائسًـــا
شبــــــح أبكــــم يتبــع عـــــدوّه!"
البارون

حقق "أمري" المستحيل في شبابه، دون سابق إنذار، ودون أيّ دافع يمكن تصوّره، حين اختار أن يختفي من العالم حيث عاش على عتبة مسيرته التي تعني موقع هندي صغير.

ذات يوم كان حيًّا، في حال حسن، سعيدًا، بدليل عظيم بين موائد البلياردو في ناديه. وذات صباح، لم يعد هناك، ولم يعد يجدي أيّ أسلوب

بحث عن مكان وجوده. لقد خرج من مسكنه، ولم يظهر في مكتبه في الوقت المناسب، ولم تظهر عربته في الطرق العامة. لهذه الأسباب، ولأنه كان عائقًا من درجة بالغة الصغر، فإنّ إدارة الإمبراطورية الهندية، تلك الإمبراطورية التي توقفت في لحظة بالغة الصغر، لتجري تحقيقًا في مصير "أمري"، سحبت البرك، سبرت غور الآبار، أرسلت برقيات عبر خطوط السكك الحديدية إلى أقرب ميناء بحري يبعد مئات الأميال، لكن "أمري" لم يكن في نهاية الحبال المسحوبة ولا أسلاك التلغراف. لقد ذهب، ولم يعد يُعرف مكانه أكثر من ذلك.

ثم اندفعت أعمال الإمبراطورية الهندية للأمام بقوّة، لأنّها لا يمكن أن تتأخر، وتحوّل "أمري" من كونه رجلًا فأصبح لغزًا، شيء من قبيل ما يتحدّث به الرجال حول موائدهم في النادي لمدّة شهر، ثم يُنسَى تمامًا. وجرى بيع أسلحته، وخيوله، وعرباته، لمن يدفع أعلى سعر. كما كتب موظف عالي المكانة رسالة سخيفة كليةً لأمّه، قائلًا إن "أمري قد اختفى لأسباب مجهولة، وإن الشاليه الخاص به أصبح شاغرًا".

بعد انقضاء ثلاثة أو أربعة أشهر من الطقس الحارق الحار، رأى صديقي "ستريكلاند"، رجل الشرطة، أنّ مسكن "أمري" مناسب للاستئجار من المالك الأصلي. كان هذا قبل أن يرتبط بـ "ميس يونهال " في علاقة جرى وصفها في مكان آخر. وبينما كان يسعى في تحقيقاته لإنجاز حياة محليّة ناجحة، كانت حياته الخاصة غريبة بما فيه الكفاية، حيث اشتكى رجال من سلوكياته وعاداته، فهناك دائمًا طعام في منزله، دون أن تكون هناك أوقات

منتظمة للوجبات. كان يأكل واقفًا، أو وهو يتمشى، أيًا كان ما يجده في البوفيه، وهو أمر لم يكن جيّدًا للبشر. كانت معداته المحلية محدودة بعدد ست بنادق، ثلاثة مدافع، خمسة سروج، ومجموعة من أقوى وأكبر سنانير صيد سمك السلمون. وقد احتلت تلك المجموعة نصف الشاليه، وخصص النصف الثاني لـ"ستريكلاند" وكلبته "تيتجنز" التي كانت كلبة هائلة الحجم تلتهم يوميًا حصة رجلين. تتحدث الكلبة بلغة خاصة بها إلى "ستريكلاند"، وكلما تجوّلت بالخارج كانت ترى أشياءً محسوسة قد تدمر سلام صاحبة الجلالة الملكة الإمبراطورة، فترجع إلى سيدها وتمدّه بالمعلومات، فيتخذ "ستريكلاند" فورًا خطوات حاسمة، وتكون محصلة أعماله متاعب وغرامة وسجنًا لأشخاص آخرين. اعتقد السكان الأصليون أنّ "تيتجنز" روح جني أو شيطان، فعاملوها بتوقير كبير يتولد من كراهية وخوف. وقد جنبت غرفة واحدة من الشاليه لاستخدامها الخاص. كانت تمتلك هيكل سرير، مفرشًا، بطانية، وحوض شرب صغيرًا، وإذا جاء أيّ فرد إلى غرفة "ستريكلاند" ليلًا فإنّ عادتها كانت أن تسقط الغازي، وتظلّ تنبح حتى يأتي أيّ فرد مع ضوء. ويدين "ستريكلاند" بحياته لها، إذ عندما كان على الحدود بحثًا عن قاتل محلي، جاء رجل في فجر رمادي لإرسال "ستريكلاند" إلى أبعد من جزر "أندمان"، فقبضت "تيتجنز" على الرجل وهو يزحف نحو خيمة "ستريكلاند" بخنجر بين أسنانه، وبعد إشارته للظلم الذي تأسس في عيني القانون جرى إعدامه. ومنذ ذلك التاريخ، ارتدت الكلبة "تيتجنز" طوقًا من فضة خام، واستخدمت علامة تحمل



اسمها على بطانيتها الليلية التي كانت منسوجة من قماش كشمير مزدوج، لأنّها كانت كلبة حسّاسة.

لم تكن تنفصل أبدًا تحت أيّ ظرف من الظروف عن "ستريكلاند"، وفي مرّة واحدة عندما كان مريضًا بحمى، سببت مشاكل كبيرة للأطباء لأنّها لم تعرف كيف تساعد سيدها، ولم تسمح لأيّ مخلوق آخر أن يحاول مساعدته، حتى ضربها "ماركانات"، من الخدمات الطبية الهندية، على رأسها بكعب بندقية قبل أن تتمكن من فهم أنّه يجب إفساح الغرفة لأولئك الذين يمكن أن يعطوه حبوب الكينين للعلاج.

بعد أن تولى "ستريكلاند" شاليه "أمري" بفترة قصيرة، استغرقني عملي عبر ذلك الموقع، وبطبيعة الحال، كانت أركان النادي ممتلئة، فآويت نفسي في مسكن "ستريكلاند". كان شاليهًا مرغوبًا، يتكوّن من ثماني غرف، محشوًّا بالقش بشدّة ضد أيّة فرصة لتسرّب المطر. يمتد تحت السقف قماش سقف يبدو أنيقًا تمامًا كسقفٍ أبيض مغسول، أعاد المالك طلاءه عندما تولى "ستريكلاند" الشاليه. ما لم تكن تعرف كيف بنيت الشاليهات الهندية، فلم تكن لتشكّ أبدًا أن ما بأعلى قماش يمتد ككهف من ثلاثة أركان للسقف، حيث كونت الجسور والجانب السفلي مأوى قشّ لجميع أنواع الفئران والخفافيش والنمل، وأشياء أخرى كريهة.

قابلتني الكلبة "تيتجنز" في الشرفة مع نباح مثل دويّ جرس كنيسة القديس بولس، واضعةً مخالبها على ظهري لتبيّن لي سعادتها لرؤيتي. كان

"ستريكلاند" قد ابتكر نوعًا من وجبة أطلق عليها الغداء، وبعد أن انتهت مباشرةً خرج من أجل تأدية بعض أعماله. هكذا تُركت وحدي مع الكلبة "تيتجنز" وبعض شؤوني.

انفجرت حرارة الصيف، وتحوّلت إلى أمطار رطبة دافئة. لم تكن هناك حركة في الهواء الساخن، لكن المطر سقط مثل مدكّات بندقية على الأرض، دافعًا لأعلى ضبابًا أزرق يتدفق ثانيةً رذاذًا. ظلّ الخيزران، وتفاح الكسترد، والنبات المكسيكي الـ "كونسييتا"، وأشجار المانجو صامدة في الحديقة، في حين ما زال الماء الدافئ يندفع بعنف بينها، وبدأت الضفادع تغني من بين سياج نبات الصبّير. وقبل أن يخبو الضوء بقليل، جلست في الشرفة الخلفية عندما كان المطر في أسوأ حالاته، سمعت هدير الماء من الإفريز، وخدشت نفسي لأنني كنت مغطى بما يسمّى الحصف، وهو طفح جلدي مصحوب بوخز وحكة. وقد خرجت الكلبة "تيتجنز"، ثم وضعت رأسها في حجري، وكانت محزونة جدًّا لذلك منحتها بسكويتًا. عندما أصبح الشاي جاهزًا، تناولته في الشرفة الخلفية نظرًا لوجود قليل من البرودة هناك. كانت غرف المنزل من ورائي مظلمة. وأمكنني أن أشمّ رائحة سروج "ستريكلاند" وزيت بنادقه، ولم يكن لديّ رغبة في الجلوس بين تلك الأشياء. ثم جاء خادمي الخاص عند الغسق، وقد تشبث شاش ملابسه بإحكام حول جسمه المشبّع بالماء، وأخبرني أنّ رجلًا طلبني آملًا أن يقابل أحدًا. ذهبت رغمًا عني، فقط بسبب ظلام الحجرات، ذهبت إلى غرفة الرسم العارية، مخبرًا خادمي أن يحضر أضواء. قد يكون من طلبني هناك بانتظاري أو قد

لا يكون، وأعتقد أنني رأيت شخصًا من إحدى النوافذ، ولكن عندما وصلت الأضواء لم يكن هناك أيّ شيء، وإن علقت رائحة الأرض المشبّعة بالماء في أنفي. شرحت لخادمي أنه لم يكن حكيمًا كما يفترض أن يكون، ورجعت ثانيةً إلى الشرفة للتحدث مع "تيتجنز". كانت الكلبة قد خرجت إلى الأجزاء المبتلة، وكان من الصعوبة إعادتها ثانيةً بالملاطفة، حتى مع وجودِ بسكويت مسكر القمم.

جاء "ستريكلاند" إلى المنزل قبل العشاء يقطر بللًا، وكان أول ما قاله:

"هل سأل عني أحد؟".

أوضحت مع الاعتذار أن خادمي استدعاني إلى غرفة الرسم بإنذار كاذب، أو أنّ متعطلًا حاول الاتصال بـ"ستريكلاند"، وربّما فكر جيّدًا في الأمر ففرّ بعد إعطاء اسمه.

أمر "ستريكلاند" بإعداد العشاء دون تعليق، وطالما أنّه كان عشاءً حقيقيًّا على مفرش المائدة الأبيض، فقد جلسنا.

فكر "ستريكلاند" في الذهاب للنوم عند التاسعة مساءً، وكنت متعبًا أيضًا. نهضت الكلبة "تيتجنز" التي كانت راقدة أسفل المائدة، وتحوّلت إلى الشرفة بمجرّد انتقال سيّدها إلى غرفته الخاصة المجاورة للغرفة المخصصة جزئيًّا لها. إذا رغبت مجرد زوجة في النوم خارج الأبواب في تلك الأمطار المتراشقة فلن يكون ذلك مهمًّا، لكن "تيتجنز" كانت كلبة، وبالتالي حيوان أفضل. نظرت إلى "ستريكلاند" متوقعًا أن يلسعها بسوط، لكنه ابتسم

بغرابة كما قد يبتسم رجل بعد أن يحكي مأساة محليّة غير سارة: "إنها تفعل هذا منذ أن انتقلت إلى هنا" قال: "دعها تذهب".

كانت الكلبة كلبة "ستريكلاند"، لذلك لم أقل شيئًا، لكني شعرت أنّ ذلك يفسر بعضًا من تصرفاته. عسكرت الكلبة "تيتجنز" خارج نافذة حجرة نومي، وهبّت عاصفة بعد أخرى، وأرعد البرق على القشّ، ثم تلاشى بعيدًا. تناثر البرق في السماء كما لو أن بيضة تناثرت على باب حظيرة، لكن الضوء كان شاحبًا أزرق وليس أصفر. متطلعًا عبر وحدات ستائر البامبو، أمكنني أن أرى "تيتجنز" كلبة كبيرة واقفة، ليست نائمة، في الشرفة، ينساب شعر عنقها على ظهرها، وترسو بأقدامها متوترة مثل حبل سلكي مسحوب لجسر معلق. حاولت النوم خلال فترات توقف الرعد القصيرة جدًّا، لكن شخصًا ما أرادني على وجه السرعة. كان يحاول، أيًا كان، أن يناديني بالاسم، لكن صوته لم يكن أكثر من همسٍ مبحوح. توقف الرعد، ومضت الكلبة "تيتجنز" إلى الحديقة، وعوت في القمر المنخفض. حاول شخصٌ ما أن يفتح بابي، مشى حوله وخلال البيت، ووقف يتنفس تنفسًا ثقيلًا في الشرفات، وعندما كدت أسقط في النوم تخيّلت أنني سمعت ضجة عنيفة وصخبًا فوق رأسي أو على الباب.

جريت إلى غرفة "ستريكلاند"، وسألته عمّا إذا كان مريضًا، ولذلك استدعاني. كان مستلقيًا على سريره مرتديًا نصف ملابسه، وفي فمه غليون التدخين (البايب). قال "فكرت في أنك ستأتي. هل كان من أتحدث عنه يتجوّل في البيت في الآونة الأخيرة؟".

أوضحت أنّه كان يطوف بغرفة الطعام وغرفة التدخين، وفي ثلاثة أماكن أخرى، فضحك وطلب مني أن أعود إلى السرير ثانيةً. رجعت إلى السرير، ونمت حتى الصباح، لكن خلال كلّ أحلامي المختلطة كنت واثقًا من أنني كنت أمارس ظلم شخص بعدم تلبية رغباته. ماذا كانت تلك الرغبات؟ لم أستطع أن أحكي عنها، لكن ظلت همساته تذرع المكان، تحسسه الرتاج متواريًا، بدا كتسكع شخص يحاول التقرّب بإهمال، وسمعت نصف يقظ عواء "تيتجنز" في الحديقة وانهمار المطر.

عشت في ذلك المسكن مدّة يومين. كان "ستريكلاند" يذهب إلى مكتبه يوميًا، تاركًا إيّاي وحدي لمدة ثماني أو عشر ساعات مع الكلبة "تيتجنز" كرفيق وحيد. كنت مرتاحًا، طالما استمر الضوء كاملًا، وبالمثل كانت "تيتجنز"، لكن عند الغسق كنت أتحرّك أنا وهي إلى الشرفة الخلفية، يعانق كلّ منا الآخر التماسًا لدفء الصحبة. كنا وحدنا في البيت، لكن على الرغم من ذلك كان هناك الكثير جدًا من إشغال كامل للساكن الخفي الذي لم أكن أرغب في التدخل معه. إنني لم أره أبدًا، لكنني كنت أحسّ به حين ترفرف الستائر المسدلة بين الغرف التي مرّ بها للتو، وكنت أسمع صرير الكراسي الخيزران تحت ثقل الجالس الذي غادرها توًا، كما شعرت عندما كنت أحضر كتابًا من غرفة الطعام أن شخصًا ما ينتظر في ظلال الشرفة حتى أبتعد. وقد جعلت الكلبة "تيتجنز" الغسق أكثر إثارةً للاهتمام بحملقتها إلى الغرف المظلمة مع كلّ انتصابة شعرة، ومن خلال تتبع حركات شيء ما لا أستطيع أن أراه. إنها لم تدخل الغرف أبدًا، لكن عيناها كانتا تنتقلان باهتمامٍ كان كافيًا

تمامًا. فقط عندما جاء خادمي ليوازن ضوء مصابيح الإضاءة كي يجعلها جميعًا مضاءة ويجعل المكان صالحًا للسكنى، كانت تدخل معي وتقضي وقتها جالسة على مقعدتها تراقب ذلك الرجل الخفي أثناء حركته خلف كتفي. عمومًا، تعتبر صحبة الكلاب مبهجة.

شرحت لـ"ستريكلاند" بلطف، أنني قد أقوم برحلة إلى النادي كي أجد لنفسي مكانًا هناك. لقد أعجبت بضيافته، وسررت ببنادقه، وسنانير صيده، لكني لم أكن أهتم كثيرًا بمنزله وجوّه الخاص. سمعني حتى النهاية، ثم ابتسم بإرهاق لكن دون ازدراء لأنّه كان رجلًا يفهم الأمور. قال: **"لتبق هنا، وانظر إلى ما تعنيه الأشياء. إنّ كلّ ما تحدثت عنه عرفته منذ أن أخذت الشاليه. لتبقَ وتنتظر. لقد تركتني "تيتجنز"، فهل ستذهب أنت أيضًا؟"**.

كنت قد رأيته من خلال شأن واحد صغير مرتبطًا مع شبح همجي، ذلك الذي أوصلني إلى أبواب مستشفى الأمراض العقلية، ولم تكن لديّ رغبة في مساعدته من خلال تجارب أخرى. كان هو الرجل الذي وصل بغضه إلى أن يقدم العشاء إلى أناس عاديين.

لذلك شرحت بوضوح أكثر من أيّ وقت مضى أني أحببته كثيرًا، وسأكون سعيدًا أن أراه في وضح النهار، لكني لا أهتم بأن أنام تحت سقفه. كان ذلك بعد العشاء، حين خرجت "تيتجنز" لترقد في الشرفة.

قال "ستريكلاند" وعيناه على قماش السقف: **"الرحمة لروحي، ولا أبالي. انظر إلى ذلك!"**.

كان هناك ذيلان اثنان لثعبانين بنييّ اللون معلقين بين قماش وإفريز الجدار. كانا يلقيان ظلين طويلين مع ضوء المصباح.

قال ستريكلاند: "إذا كنت تخاف من الثعابين، فمن الطبيعي أن ..".

كنت أكره وأخاف الأفاعي، لأنك إذا نظرت في عيني أيّ ثعبان سترى أنه يعرف كلّ شيء عن سرّ سقوط الإنسان، وأنه يشعر بكل الاحتقار لأنّ الشيطان سقط عندما جرى طرد آدم من الجنة، إلى جانب أن عضته عمومًا قاتلة، وهي تطوي أرجل البنطلون.

قلت : "ينبغي أن تدرك قشّك".

"أعطني سنارة ماهسيرو وسنسقطهما".

استطرد ستريكلاند: "سيختبئان بين حزم السقف، وأنا لا أستطيع إيقافهما في سماء المكان، لذلك سأذهب إلى السطح. إذا هززتها لأسفل، قف بالجوار مع سنارة تنظيف، واكسر ظهريهما".

لم أكن حريصًا على مساعدة "ستريكلاند" في عمله، لكني أخذت قضيب تنظيف، وانتظرت في غرفة الطعام، في حين جلب "ستريكلاند" سلم البستاني إلى الشرفة، ووضعه إلى جانب الغرفة.

سحب الثعبانان ذيليهما واختفيا. أمكننا أن نسمع اندفاعتي جسميهما الطويلين فوق قشّ قماش السقف بين قماش السقف والقش، غاضين الطرف عن تدهور ممتلكات ناتجة عن تمزيق قماش السقف.

قال "ستريكلاند" "كلام فارغ!. إنها تختفي بالتأكيد قرب الجدران بجوار القماش".

يعتبر الطوب باردًا جدًّا بالنسبة لها، ودرجة حرارة الغرفة هي ما تنشد. وضع يده على ركن القماش وفصله عن الإفريز. ارتفع صوت تمزيق القماش، فوضع "ستريكلاند" رأسه داخل الفتحة، إلى ظلام زاوية حزم السقف. جززت على أسناني، ورفعت العمود لأنّه لم تكن لديّ أدنى معرفة عمّا قد يسقط.

قال "ستريكلاند" : "هم!" وتدحرج صوته وتوغّل في السقف "هناك غرفة من مجموعة أخرى من الغرف هنا بأعلى، وباسم الربّ، هناك شخص يشغلها!".

صحت من أسفل "ثعابين؟".

"لا. إنه أمر مربك. ناولني آخر مفصلين من عمود الماهسير، وسوف أحزمه. إنه يرقد على حزمة السقف الرئيسية".

ناولته العمود.

"يا له من عش للبوم والثعابين! لا عجب أن تعيش الثعابين هنا". قال "ستريكلاند" متسلقًا وموغلًا إلى داخل السقف. أمكنني أن أرى كوعه وجامع القضيب. "اخرج من ذلك، مهما تكن! إن رأسه لأسفل هناك! إنه يسقط".

رأيت قماش السقف تقريبًا في قلب مركز الغرفة وقد جرى الضغط عليه إلى أسفل وأسفل باتجاه المصباح المضاء على المائدة. سحبت المصباح بعيدًا عن الخطر، وتراجعت إلى الوراء. وسرعان ما انفصل القماش عن الجدران

متمزقًا منتزعًا ليرتطم شيء على المائدة لم أجرؤ على النظر إليه، حتى أنزل "ستريكلاند" السلم، ووقف إلى جانبي.

لم يقل كثيرًا لكونه رجل قليل الكلام، لكنه التقط النهاية الفضفاضة من مفرش المائدة، ورمى ما تبقى منه على المائدة.

قال مقرّبًا المصباح "إنه يضربني. لقد عاد صديقنا "أمري". أوه، هل يمكن، هل يمكن؟".

كانت هناك حركة تحت القماش، تملص ثعبان صغير تكسر ظهره بقضيب ماهسير. كنت مريضًا بما يكفي وهو ما لا يستحق تدوين أيّة ملاحظات.

فكر "ستريكلاند" للحظة، وساعد نفسه على الشرب. لم تدع التحركات تحت القماش أيّة علامات أكثر على الحياة.

تساءلت "هل هو أمري؟".

فتح "ستريكلاند" القماش لوهلة، ونظر.

قال "نعم أمري. وقد نحرت رقبته من الأذن إلى الأذن".

عندئذٍ تحدثنا، نحن الاثنان معًا لنفسينا "ذلك هو السبب في همسه بين أرجاء المنزل".

بدأت الكلبة "تيتجنز" تنبح بشراسة. وفي وقت لاحق، بعد ذلك بقليل، رفعت أنفها العظيم مفتوحًا على باب قاعة الطعام.

شمّت وما تزال. كان السقف البالي من القماش معلقًا لأسفل تقريبًا إلى مستوى المائدة، ولم يكن هناك مجال للتحرّك بعيدًا عن الاكتشاف.

دخلت "تيتجنز" وجلست، أسنانها عارية تحت شفتها وقد قدّمت قدميها الأماميين. نظرت إلى "ستريكلاند".

قال "إنها أعمال سيئة، أيها العجوز. لا يتسلق الرجال إلى أسطح الشاليهات كي يموتوا، ولا يربطون قماش السطح ورائهم. دعنا نفكر في ذلك".

قلت "دعنا نفكر في مكان آخر".

"فكرة ممتازة. اطفئ المصابيح. سنمضي إلى غرفتي".

لم أطفئ المصابيح. ذهبت أولًا إلى غرفة "ستريكلاند"، وسمحت له أن يظلم المكان، ثم تبعني وأشعلنا التبغ ورحنا نفكر. فكر "ستريكلاند". دخنت بشراهة لأني كنت خائفًا.

قال "ستريكلاند": "لقد رجع أمري. والسؤال هو: مَنْ قتل أمري؟ لا تتكلم، إن لديّ فكرة أنا نفسي. حين أخذت هذا الشاليه اضطلعت بمعظم خدم أمري. كان أمري ساذجًا وغير مؤذٍ. أليس كذلك؟".

وافقت، رغم أن الكوم تحت القماش لم يكشف عن شيء معين أو شيء آخر.

"إذا استدعينا كلّ الخدم فإنهم سيقفون سريعًا في حشد ويكذبون مثل الآريين. فماذا تقترح؟".

قلت "استدعهم واحدًا تلو الآخر".

قال "ستريكلاند": "إنهم سيهربون لينقلوا الأخبار لجميع زملائهم. يجب أن نفصل بينهم. هل تفترض أنّ خادمك يعلم أي شيء عن ذلك؟".

أجبت: "يجوز، على قدر علمي، لكن لا أعتقد أنّ ذلك محتمل. إنه موجود منذ يومين أو ثلاثة فقط. بماذا تفكر؟".

"لا أستطيع التعبير تمامًا. كيف جعل الشيطان الرجل ينضم إلى الجانب الخاطئ من قماش السقف؟".

كان هناك سعال ثقيل خارج باب غرفة نوم "ستريكلاند". كان "بهادور خان"، خادمه الخاص، قد استيقظ من النوم، ورغب في أن يقوم "ستريكلاند" بالترتيبات النهائية.

قال "ستريكلاند": "تقدم. إنها ليلة شديدة الدفء، أليس كذلك؟".

كان "بهادور خان" يرتدي عمامة خضراء عظيمة، يبلغ طولها ستة أقدام. قال إنها كانت ليلة شديدة الدفء، لكن سيكون هناك مزيد من الأمطار المعلقة التي، وفقًا لتقديره المفضل، ستقدم إغاثة للبلاد.

قال "ستريكلاند"، وهو يخلع حذاءه: "سيكون الأمر كذلك إذا شاء الإله. إن ذلك في ذهني، يا "بهادور خان"، فقد عملت بلا رحمة لعدة أيام، منذ ذلك الوقت، عندما التحقت بخدمتي لأوّل مرّة. متى حدث ذلك؟".

"وهل تنسى السماء المعطاءة؟ كان ذلك حين ذهب "أمري ساهيب" سرًّا إلى أوروبا دون سابق إنذار، وعندما تشرفت بدخول خدمة حامي الفقراء".

"ذهب أمري ساهيب إلى أوروبا؟".

"ذلك هو ما قيل بين من كانوا خدمه".

"لكنك ستعود إلى خدمته عند عودته؟".

"بالتأكيد، ساهيب كان سيدًا عظيمًا، يعتزّ بتابعيه".

"هذا صحيح. إنني مرهق تمامًا، لكنني سأذهب لأطلق النار على الأيائل والطرائد الكبرى غدًا. أعطني البندقية الحادة الصغيرة التي استخدمتها في صيد الأيائل السوداء، إنها بحالتها موجودة هناك في الحقيبة".

انحنى الرجل على الحقيبة، سلم في النهاية أمشاط البندقية، محزونًا، إلى "ستريكلاند" الذي جهزها جميعًا معًا، متحركًا بحزن. ثم وصل أخيرًا إلى حقيبة البندقية، آخذًا خزانة صلبة، ألقمها في مؤخرة البندقية 360 اكسبريس.

"ذهب أمري ساهيب إلى أوروبا سرًّا! ذلك أمر شديد الغرابة، يا بهادور خان، أليس كذلك؟".

"ماذا أعرف، بحق السماء الوهابة، عن الرجل الأبيض؟".

"قليلًا جدًّا في الحقيقة. لكنك سوف تعرف المزيد حالًا. لقد وصلني أن أمري ساهيب قد رجع من رحلته الطويلة جدًّا، وأنه يمكث حتى الآن في الغرفة المجاورة، منتظرًا خادمه".

"ساهيب!".

انخفض ضوء المصباح على امتداد أمشاط البندقية، التي صوّبت نفسها على صدر بهادور خان العريض.

قال "ستريكلاند": "اذهب وانظر! خذ مصباحك معك. إن سيّدك متعب، وهو ينتظرك! اذهب!".

التقط الرجل مصباحًا، ودخل إلى حجرة الطعام، يتبعه ستريكلاند، وهو يدفعه تقريبًا بفوهة البندقية. تطلع لوهلة إلى الأعماق السوداء وراء قماش السقف، وإلى ثعبان يتلوى تحت قدمه، وأخيرًا، استقرت على وجهه غشاوة رمادية، وهو ينظر إلى الشيء الذي كان تحت مفرش المائدة.

قال ستريكلاند" بعد وقت قصير: "هل نظرت؟".

"لقد رأيت. إنني قطعة صلصال في يد الرجل الأبيض. ماذا يفعل وجودي؟".

"تُشنق في غضون شهر. وماذا أيضًا؟".

"لقتله؟ كلا، ساهيب، مسئول. خلال مشيه بيننا، نحن خدمه، ألقى ببصره على طفلي، الذي كان يبلغ من العمر أربع سنوات. لقد سحره، وفي مدى عشرة أيام مات طفلي، من الحمى".

"ماذا قال أمري ساهيب؟".

"قال إنه كان طفلًا وسيمًا، وربت على رأسه، ولهذا السبب مات طفلي. ولهذا السبب قتلت أمري ساهيب في الغسق، بعد أن رجع من المكتب، وكان نائمًا. ثم جررته إلى حزم السقف، ورتبت وراءه كلّ شيء بسرعة. إنّ السماء الواهبة تعلم كلّ شيء. أنا خادم السماء الواهبة".

تطلع إليَّ "ستريكلاند" من فوق البندقية. وقال بلهجة عامية "أنت شاهد على هذا القول؟ لقد قتل".

وقف "بهادور خان" شاحبًا رمادي الوجه تحت ضوء مصباح وحيد، وقد غمرته الحاجة إلى التبرير بسرعة شديدة، فقال: "لقد وقعت في الفخ، لكن الأذى كان من ذلك الرجل. كان قد ألقى بعين شريرة على طفلي، فقتلته وأخفيته. مثل هؤلاء فقط يخدمهم الشيطان".

حملق إلى الكلبة "تيتجنز"، نكّس رأسه ببلاهة: "فقط هذه يمكن أن تعرف ما فعلته".

"كان فعلًا بارعًا. لكن لم يكن ينبغي أن تدفع به إلى الحزم بحبل. الآن، ستشنق أنت نفسك بحبل. إنه أمر مقدّر!".

استدعى "ستريكلاند" شرطيين، كان أحدهما نعسانا، تلاه آخر، والكلبة "تيتجنز" لم تزل تتعجب.

قال ستريكلاند: "خذوه إلى مركز الشرطة. هناك قضيّة ضده".

"هل سأُشنق، إذًا؟".

تساءل "بهادور خان" دون أن يقوم بأية محاولة للهرب، محافظًا على عينيه منكستين إلى الأرض.

أجاب ستريكلاند: "طالما تشرق الشمس، ويتدفق الماء، نعم!".

تراجع "بهادور خان" خطوة طويلة للوراء، ارتجف، واستمر واقفًا. انتظر الشرطيان أوامر أخرى.

قال ستريكلاند "اذهبا!".

قال بهادور خان": " لكني أمضي بسرعة شديدة. انظر! حتى من الآن، أنا رجل ميت".

رفع قدمه، والى أخمص القدمين قليلًا هناك، حيث تشبث رأس الثعبان نصف المقتول، راسخًا ثابتًا في نزع الموت.

قال "بهادور خان" مهتزًّا حيث وقف: "جئت من أراضي ملاك أسهم. كانت وصمة عار بالنسبة لي الذهاب إلى مجال عمل عام؛ لذلك اغتنمت هذا الطريق. لتتذكر كيف كان يتم تعداد قمصان "ساهيب" بشكل صحيح، وأنّ هناك قطعة إضافية من الصابون في مغسلته. لقد سحر طفلي، وأنا نحرت الساحر. لماذا تسعى إلى شنقي بالحبل؟ لقد جرى إنقاذ شرفي، وها أنا أموت".

مات في نهاية ساعة، مات من عضة الثعبان البني الصغير، وحمله رجلا الشرطة مع الشيء الذي كان تحت غطاء المائدة إلى أماكنهم المعيّنة. كانت هناك حاجة لتوضيح أسباب اختفاء أمري.

قال "ستريكلاند" بهدوء شديد، بينما كان يصعد إلى الفراش: "هذا ما يسمى القرن التاسع عشر. هل سمعت ما قاله ذلك الرجل؟".

أجبت: "سمعت، لقد ارتكب أمري خطأ".

"ببساطة، وحده فقط من خلال عدم معرفته طبيعة الشرقي، وتزامنها قليلًا مع حمى موسمية. لقد رافقه بهادور خان لمدّة أربع سنوات".

ارتجفت. كان خادمي معي بالضبط طوال نفس الفترة من الزمن. وعندما ذهبت إلى غرفتي الخاصة، وجدت رجلي ينتظر، هادئًا مثل رأس نحاسي لبنس واحد، كي ينتزع حذائي.

تساءلت "ماذا حلّ ببهادور خان؟".

أجاب: "لقد عضه ثعبان ومات. البقية يعرفها ساهيب".

"وكم تعرف من هذه المسألة؟"

"بقدر ما قد تجمّع منذ مجيئي في الشفق التماسًا للراحة. بلطف، ساهيب. اسمح لي بنزع هذا الحذاء".

ما إن استغرقت في النوم مستنزفًا حتى سمعت "ستريكلاند" يصيح من جانبه من المنزل: "رجعت الكلبة "تيتجنز" ثانيةً إلى مكانها!".

هكذا رجعت كلبة الإبل العظيمة منكّسة رأسها بجلال إلى هيكل سريرها على نفس مفرشه، بينما بقي قماش السقف كما تخلف على المائدة فارغًا، عاطلًا.

بوتزي الصغير

ظنّ العازفون أنّه يطلب صوتًا أقوى، لكن "نيكش" قائد الفرقة الموسيقية، ضبط قطرة مطر على نهاية عصا القيادة وقطرة أخرى على راحة يده.

أوقف الفرقة الموسيقية، حملق بغضب إلى السماء، ثم إلى "فرديناند لوفلر"، «الكونسرتماستر» المسئول (عازف الكمان الأول وقائد الأوركسترا، ومنظم الحفلات الموسيقية).

مدّ "لوفلر" ذراعه وراء صفحة طارت من نوتة "فنلانديا" (قطيع سيمفوني للمؤلف الموسيقي الفنلندي "جين سيبلياس")، وفتح المستمعون مظلاتهم، وانصرفوا. هرول الموسيقيون إلى مأوى بداخل قاعة حفل الموسيقي، حاملين آلاتهم ،بينما مشى "هر لوفلر" بحزن إلى خلفية المسرح الواسع، وخلع معطفه الأسود الطويل، وهزّ قطرات المطر بعيدًا عنه .

أحاط به "نيكش" هناك مع عصاه. جذب "هر لوفلر" من بين زرارين في صدريته، وأمسك به أمام سلّم المبنى الطويل. كان يمكن لـ"جانجوفر"، الناقر على آلات النقر الموسيقية، أن يسمعه، وهو يقول له: **"أنت أبله، يا هر لوفلر، لست كونسرتماستر مسئولًا، بل مجرد أبله، إنّها المرّة الأخيرة يا هر لوفلر، فأنت لا يمكنك أن تفعل أبسط الأشياء بشكلٍ صحيح. إن لدينا عجزا ياهر لوفلر، إنها ليست هي تلك الأيام القديمة الجميلة، يا هر لوفلر،**

إنني أحذرك أخيرًا، ولآخر مرة: بالداخل! تعني أن نعزف هنا في هذه القاعة حين تمطر السماء، ونعزف في الخارج حين تشرق الشمس".

تناول "هر لوفلر" صامتًا قبعته المخملية الزرقاء والكمان الأول وخرج لينتظر سيارة أجرة تقلّه إلى ذلك الجزء من المدينة حيث يمتلك "رودلف"، أخو زوجته، كافيتريا "الملتهمين الثلاثة" الصغيرة.

جلست "فراو لوفلر" في ركن من الكافيتريا الصغيرة بعيدًا عن حامل البامبو، تقرأ في جريدة "واينر فريي برس"، وهي تقلب قهوتها . "آه، فيردر" قالت، وعصرت يده "لكنك بكّرت اليوم بالحضور". كان يمكنها أن تقرأ وجهه، وتطلعت معه عبر لوح النافذة الزجاجي إلى الشارع الذي كانت تتساقط فيه قطرات المطر .

"في الخارج، مرةً أخرى" قالت. ثم تحوّلت إلى الصفحة الأمامية من جريدة "واينر فريي برس"، مشيرة إلى تقرير الطقس الذي قرأت منه "مضايقات خفيفة فوق فيينا، وألق وضياء في "سالزمارجوت".

"في الداخل، والخارج" رددت مرارًا وتكرارًا. جلبت هاتان الكلمتان له الرعب بقدر ما كانت تجلبه لأناس آخرين كلمات موت، حريق، شرطة، وإفلاس.

جلست "فريدا"، أخت "فراو لوفلر" وراء نضد طويل تاليًا لآلة تحصيل النقد. أشارت إليها "فراو" بإصبع إبهام يدها اليمنى "انظر إلى "فريدا". منذ أن بدأت أنتظرك كانت قد تناولت ثلاثة آيس كريم، أربع



قطع من تورتة الجوز، زوجًا من فطائر الكريمة، وقطعتي شكولاته، وتتطلع الآن إلى القطع الأربع الصغيرة الأخرى".

"أجل" قال هر لوفلر:

"آه، لماذا يا فردر لا يكون لنا مطعم صغير مثل هذا مع زبائن ومجلات وصحف، بدلًا من القلق حول "نيكش"، قائد الفرقة الموسيقية، وقضية في الداخل والخارج؟".

"لقد نعتتني بالأبله. لقد فعلها نيكش". ثم استطرد هر لوفلر "إنها المرّة الأخيرة، كما قال".

"من يظن من تكون؟ البابا؟ لماذا لا يقرر هو بنفسه طالما أنه بهذا الذكاء! إنني أجنّ يا فردر. لا أستطيع أن أنام لمدّة يومين حين تعزف بسبب القراءة حول الطقس، الاتصالات، التطلع إلى الجبال، بل وحتى مراقبة الكلاب وهي تأكل النجيل. لقد تعبت من سؤال الفلاحين - إنهم لا يعرفون أيضًا. لا يمكن أن يكونوا متأكدين أبدًا، فالأمطار تأتي من اللامكان - تلك السحب حين لا نريدها، وحين تعزف في الداخل آملًا بأنها ستمطر في الخارج ،إذا بالشمس تشرق، تمامًا كما لو كانت تؤنبك!".

وضعا أيديهما الأربع معًا بحميمية صامتة، واحدة فوق الأخرى فارتفعت عاليًا ككأسٍ زجاجي. نظرت فراو لوفلر إلى فنجان قهوتها، وغمغمت برقة "فردر، يجب أن أخبرك بأمرٍ ما". عندئذٍ بدت خجولة، كفتاة صغيرة، ثم سرعان ما همست في أذنه ...

"لا! " قال لوفلر بعينين غير مصدقتين.

" بل نعم، نعم، يا فردر" قالت:

" متى؟" سألها هر لوفلر.

"في يناير . حوالي منتصف يناير .. لقد قال دكتور جريسبيرن .. ".

صحّ تخمين لوفلر حول الطقس بالنسبة لحفلتي الموسيقى التاليتين. أشرقت الشمس. جرت الحفلتان في الخارج. تحدّث "نيكش" معه ثانيةً، ومشى لوفلر الهوينى وهو يصفر إلى حفلات الموسيقى.

ذات يوم، في بروفة قصيد ريتشارد شتراوس "تيل إيلنسبيجل" لم يستطع أن يكتم الخبر أكثر من ذلك. كان عليه أن يخبرهم، فربتوا على ظهره وهزّوا يده . حتى "نيكش" نزل من موقعه، ووضع كلتا يديه على ذراعي لوفلر. "هر لوفلر" قال، فقط مجرد "هر لوفلر".

ثم حدث بعد حفل "ليبستود" (العنوان الختامي لأوبرا "تريستان وايزولدا" لروبرت فاجنر)، أثناء عودة لوفلر إلى بيته، أن وجد أمام البيت عربة تخصّ د. "جريسبيرن".

صعد لوفلر السلالم مهرولًا إلى حجرة الجلوس في نفس اللحظة التي كان د. "جريسبيرن" يخرج من باب حجرة زوجته .

"زوجتي ؟" تساءل هر لوفلر:

"لا" قال د.جريسبيرن. "لا، ياهر لوفلر، ليست زوجتك". غسل د.جريسبيرن يديه. ذهب هر لوفلر كي يقبّل زوجته المسكينة، ورجع ثانيةً.

"يا عزيزي الدكتور" قال " إننا لن - إنني لن أمضي في - ".

أغلق د.جريسبيرن حقيبته، وأنزل أطراف ردائه.

"كونا معًا، يا لوفلر. كن رجلًا" قال. "لكنك لن تكون أبًا ..".

"إلى الأبد؟" تساءل هرلوفلر:

"إلى الأبد بعد أن فقدت الجنين" قال د.جريسبيرن:

جلس هرلوفلر علي حافة الكرسي. "نحن أناس بسطاء". ثم موجهًا حديثه إلى المائدة التي أمامه: "قليل هو ما نطلبه من الحياة وطالما أردنا ذلك الجنين. حتى أننا اخترنا له اسمًا، "بوتزي" هو ما أسميناه . لماذا، وقد أشعلت آني شموعًا لسانت جوزيف، القديس، حامي كل الآباء؟".

تنهد مرةً أخرى.

"لماذا يحدث هذا لي؟" قال. "وكيف أمكن أن يحدث ذلك ؟ إننا نطلب القليل جدًّا".

أشار د.جريسبيرن من النافذة "انظر إلى هناك، هر لوفلر ..هو أمر شبيه بهذا. هل رأيت شجرة التفاح، تلك الشجرة الصغيرة المحببة التي تتفتح متأخرة؟ .. إنّ لديها عديدًا من الأزهار ..".

"ثم تأتي الريح". واصل د. جريسبيرن "ليدفعها الهواء، يقلصها - مثل هذا - وتسقط الأزهار، وتحمل الأمطار كثيرًا منها ..". واختتم كلامه بإشارة من أصابع يده الضخمة في خط مستقيم (كان الطبيب ابنًا لفلاحين)،

مقلدًا خرير المطر "وبر ر ر، التجمّد، وتسقط أزهار أخرى لأنّها ليست قوية بما فيه الكفاية. هل تفهم، يا هر لوفلر، ما أعنيه؟".

تطلعا إلى الشجرة الصغيرة: كانت فعلًا غنية بالأزهار، غنية لدرجة أن الأرض أسفلها كانت بيضاء.

"تلك الزهرة، هي صغيرنا بوتزي" قال هر لوفلر :

"نعم" قال الطبيب . "أين قبعتي؟".

بحث الطبيب عن قبعته، وصاحبه هر لوفلر وهو يهبط السلالم.

"إذا كنت ستذهب إلى المدينة .." قال. جريسبيرن، فاتحًا باب عربته ذات العجلات الأربع. أومأ لوفلر، وتقدّم إلى الداخل.

كان هناك عمود إنارة مطلي عند نهاية الشارع. تحولت العربة إلى شارع اصطفت به الأشجار. عبرتها مجموعة من جنود شبان. تحدث هر لوفلر بعد أن عبرا عمود الإنارة جديًا مع د. جريسبيرن حول تسليمه جثمان الجنين، لكن الطبيب هزّ رأسه "لا، لا لا لا، يا هر لوفلر". "مستحيل، هذا لا يمكن حدوثه". استمر هر لوفلر يغمغم "إننا نطلب القليل جدًّا". واختتم كلماته "هذه هي المرّة الوحيدة التي حملت فيها - ولن تكون هناك مرّة أخرى - يا لزوجتي المسكينة - حبًّا - أسرة ". كان يحاول خلال كل ذلك الوقت، أن يفكّ عقدة من قطعة جلد رقيق كانت تغلق باب العربة.

"لا" قال د. جريسبيرن.

جذب السائق اللجام كابحًا جماح الحصان ليدع عربة وسيارتين تمرّ أولًا. كان هر لوفلر محتقن الوجه تحت رحمة الضوضاء المنبعثة من محركات دائرة، أبواق، جرس الترولي. صاح أخيرًا "إن جثمان بوتزي يخصنا!"، وقرع بعنف مظلته ثلاث مرات على المقعد المجاور الذي كان مطويًّا أمامه ..نظر السائق حوله.

"بوتزي؟" سأل د.جريسبيرن "زهرتنا الصغيرة" قال هر لوفلر مشيرًا إلى حقيبة الطبيب.

تتبع د. جريسبيرن طيران حمامة بعينيه. طارت الحمامة إلى نافورة، وشربت. كان هناك كلب تحت النافورة يأكل نجيلًا، سرعان ما جرى إلى حاجز حجري، ومن هناك استدارت عينا الطبيب عائدتين إلى ظهر السائق متنقلة إلى هر لوفلر. كانت هناك دمعة تهبط على وجه الكونسرماستر. وضع الطبيب يده على ركبة لوفلر.

"سأفعلها، يا لوفلر. ليس هناك قانون يمنع تسليم جثمان ذلك الجنين. لذا آمل أن يوجد واحد بكل متحف. ومن المحتمل أن يكون مجهّزًا بطبيعة الحال .. داخل زجاجة .. الاثنين القادم .. ليكن مصلّي، يا هر لوفلر".

"إلى اللقاء، أيها الطبيب العزيز".

هكذا سلّم جثمان جنين بوتزي إلى هر لوفلر الذي كتب بخط جميل على ملصق رقيق، مصمم من أجل الزجاجة: "عزيزنا بوتزي". كتب، وسجّل التاريخ تحت الاسم.

خمّن هر لوفلر الطقس خطأ مرّة أخرى في الأسبوع التالي، مطرًا من أجل بيتهوفن في الخارج، وشمسًا مشرقة من أجل برامز في الداخل، فكسر القائد عصاه.

"امضِ بعيدًا، يا هر لوفلر" قال: "إني رجل صبور، لكنك غالبًا ما تتجاوز حدود صبري. ابتعد عن مرمى بصري، وامضِ بعيدًا، إلى حيث لا أراك مرةً أخرى أبدًا. كونسرماستر أبله!".

مضى هر لوفلر إلى بيته ماشيًا.

ظلّ "بوتزي" داخل زجاجته موضوعًا على رفّ المستوقد لمدة عام. كانت الأزهار تُهدَى إليه في عيد ميلاده، وفي أعياد الميلاد كان لديه شجرة صغيرة مع شمعة واحدة فيها. الآن، جلس هر لوفلر لساعات في كرسيه متطلعًا إلى "بوتزي" الصغير في زجاجته مفكرًا في الطقس، حول الفرقة الموسيقية، حول الداخل والخارج.

كانت جريدة "واينر فريي برس" كثيرًا ما تخطئ، ونادرًا ما تكون تقارير الطقس الحكومية صائبة. وبينما نيكش يخطئ دائمًا - غالبًا أكثر مما كان الأمر، حين كان لوفلر يعطي الكلمة - كان جثمان "بوتزي" في زجاجته الصغيرة، كان "بوتزي" دائمًا على صواب، صائبًا مقدّمًا ..

لم يتعدَّ الأمر مرور عدّة أشهر، حين لاحظ هر لوفلر ذلك. ثم انتظر وراقب عن قرب لعدة أيام أخرى ثم أخبر زوجته. أخذ ورقة وقلم رصاص، ورسم خطًّا عبر منتصف الورقة. في النصف الأسفل

كتب "في الداخل"، وفي النصف الأعلى كتب "في الخارج"، وفرك يديه وانتظر..

أمكن لـ"بوتزي" أن يتنبأ، مبكرًا بوقتٍ طويل قبل أن تظهر أضأل سحابة زرقاء عبر حافة أيّ من الجبال العملاقة التي تحيط بوادي سالسبورج الجميل، وذلك حين غاص إلى قاع الزجاجة، وظهر أثر تجعدين على جبهته الصغيرة، وتجعدت عدّة شعيرات دقيقة كانت تنمو على أذنه اليسرى متخذة سبيلًا لولبيًّا محكمًا.

وعلى الجانب الآخر، حين تعد الشمس بأن تشرق على هواء الجبال النقي لتسطع طوال اليوم، كان بوتزي يسبح إلى أعلى الزجاجة مع ابتسامة قزمية ووجنتين متوردتين.

"تعال، يا بوتزي" قال هر لوفلر، حين امتلأت الورقة، وأخذه مع الخريطة إلى نيكش.

ورجع هر لوفلر ثانيةً الآن إلى العمل، في الداخل حين تمطر، وفي الخارج حين تشرق الشمس.

ورق حائط أصفر

من النادر أن يؤمّن مجرّد أفراد عاديين مثل "جون" ومثلي قاعات الأجداد لفصل الصيف.

قصر استعماري، مزرعة موروثة، وقد أقول منزلًا مسكونًا، وصولًا إلى ذروة سعادة رومانسية، وهو ما يتطلب قدرًا كبيرًا من التوفيق!

لا أزال أعلن بفخر أنّ هناك شيئًا غريبًا حول هذا الموضوع.

أيضًا، لماذا يستمر عرض ذلك المنزل بثمنٍ بخس؟ ولماذا ظلّ فترة طويلة دون تأجير؟

يضحك "جون" في وجهي بطبيعة الحال، لكن هذا متوقع مع الزواج.

يعتبر "جون" شخصًا عمليًّا إلى أقصى حدّ. ليس لديه أيّ صبر مع الإيمان، شديد الرعب من الخرافات، ويسخر علنًا من أيّ شيء لا يمكن الشعور به ويُرى ويُسَجَّل في أرقام.

يعمل "جون" طبيبًا - لن أقول إنّه نفس حيّة، بطبيعة الحال، لكنه يعتبر مجرّد ورقة جامدة، ومصدر ارتياح كبير في رأيي. ربّما كان ذلك أحد أسباب أنني لم أسرع في التحسّن بشكلٍ كافٍ.

أنت ترى أنّه لا يصدّق أنني مريضة!

وماذا يمكن للمرء أن يفعل؟

إذا كان الطبيب من ذوي المكانة العالية، وهو في نفس الوقت زوجي، عندما يؤكد للأصدقاء والأقارب أنّه ليس هناك فعلًا أيّ شيء، بل هو مجرّد اكتئاب عصبي مؤقت - ميل هستيري طفيف - فماذا على المرء أن يفعل؟

يعمل أخي طبيبًا أيضًا، ويندرج ضمن ذوي المكانة العالية بالمثل، وله نفس الرأي.

لذلك أتعاطى شراب مياه غازية فوّارًا مع قليل من حمض فوسفوريك وملح الحمض الفوسفوري، أيّهما يكن، إضافة إلى مقوّيات، ورحلات، وهواء طلق، تمرينات، لكني كنت ممنوعة من "العمل" منعًا باتًّا حتى أرجع سليمة مرّةً أخرى.

وكنت شخصيًّا لا أتفق مع أفكارهما.

كنت شخصيًّا، أعتقد أن عملًا متجانسًا مع إثارة وتغيير، سيجعلني في حالة جيّدة.

لكن ماذا ينبغي على المرء أن يفعل؟

لقد كتبت فترة على الرغم منهما، واستنفذ ذلك طاقتي بشكل كبير. لكن أن أكون خبيثة، أو أيّ شيء آخر كان يواجه بمعارضة شديدة.

أتخيّل حالتي أحيانًا إذا كانت هناك معارضة أقل وتحفيز مجتمعي أكثر، لكن "جون" يقول إنّ أسوأ ما يمكنني فعله هو أن أفكّر في حالتي، وأعترف أن ذلك يجعلني دائمًا أشعر بشعور سيّء.

لذا فإنني أترك ذلك الأمر، وأتحدّث عن البيت.

هو أجمل مكان! إنّه يقف وحيدًا تمامًا وراء الطريق، على بُعد ثلاثة أميال تمامًا من القرية. إنه يجعلني أفكّر في الأماكن الإنجليزية التي نقرأ عنها، لأنّ هناك حواجز، وجدران، وبوابات تغلق، وكثيرًا من منازل منفصلة للجنائنية والناس.

هناك حديقة شهيّة! لم أرَ أبدًا مثل تلك الحديقة، كبيرة مظللة، مليئة بمسارات محددة مربعة، ومخططة بعروش عنب طويلة تغطيها مع وجود مقاعد تحتها.

كانت هناك دفينات زجاجية أيضًا، لكنها جميعًا مهشمة الآن.

كانت هناك بعض مشاكل قانونية، على ما أعتقد، شيء عن ورثة، وشركاء في الميراث، وعلى أيّة حال، ظلّ المكان شاغرًا لسنوات.

وهذا ما يفسر غرابة الأمر، فأنا أخاف، لكنني لا أهتم - هناك شيء مريب حول هذا المنزل - يمكنني أن أشعر به. بل إنني قلت ذلك لـ"جون" ذات مساء تحت ضوء القمر، لكنه قال إنّ ما شعرت به كان بسبب تيار هوائي، وأغلق النافذة.

أحيانًا أشعر بغضب شديد من "جون"، وأنا متأكدة أنني لم أعتد أبدًا أن أكون شديدة الحساسية. أعتقد أن ذلك يرجع إلى الحالة العصبية.

لكن "جون" يقول إنني إذا شعرت بذلك فسأهمل ضبط النفس السليم، لذلك أتألم أمامه، على الأقل، وهو ما يجعلني شديدة الإرهاق.

أنا لا أحبّ حجرتنا كثيرًا. كم أردت غرفة في الطابق السفلي الذي يفتح على الساحة وفيه ورود في جميع أنحاء الغرف، وهناك ستارة من طراز قديم جميلة من قماشٍ قطني مطبوع! لكن "جون" لم يكن ينصت إليّ.

وقال إنه لم يكن هناك سوى نافذة واحدة وليست حجرة بسريرين، ولم تكن هناك حجرة أخرى قريبة.

كان حريصًا جدًّا ومحبًّا، ونادرًا ما يتيح لي التحرّك دون توجيه خاص.

لديّ جدول زمني بوصفات طبيّة لكلّ ساعة من اليوم، يقوم "جون" ببذل كلّ عناية ممكنة من أجلي، وإن كنت أشعر أساسًا أنني لست معترفة بتقديره أكثر.

قال: "لقد جئنا هنا بمفردنا على حسابي، حيث كان ينبغي أن توفر الغرفة راحة تامة وكلّ الهواء الذي يمكن الحصول عليه".

وقال: "تمريناتك تعتمد على قوتك يا عزيزتي. وطعامك إلى حدٍّ ما على شهيتك، لكن الهواء يمكن أن تستنشقيه طوال الوقت".

وهكذا جعلنا غرفة التمريض في الجزء العلوي من المنزل.

كانت غرفة كبيرة، متجددة الهواء، بها نوافذ تطلّ تقريبًا على جميع النواحي، يتوفر بها الهواء وأشعة الشمس. كانت غرفة تمريض أولًا، ثم غرفة لعب وصالة للألعاب الرياضية بعد ذلك. يمكنني أن أحكم، لأنّ النوافذ كانت مسوّرة بحواجز من أجل الأطفال الصغار، وهناك في الجدران حلقات وأشياء.

يبدو الطلاء وورق الحائط كما لو أن تلاميذ مدرسة قد استخدموه، وجرى انتزاعه بقدر ما أمكن أن يصلوا إليه، بمقاطع كبيرة حول رأس سريري، وفي مكانٍ منخفض على الجانب الآخر من الحجرة. لم أرَ أبدًا ورقًا أسوأ في حياتي.

ارتكب واحد من نماذج تلك الأطراف الملتهبة كلّ خطيئة فنيّة.

إنه غاشم بما يكفي لإرباك العين، وانتظام ما فيه من صراحة يكفي لإثارة ضيق وتأمل مستفز، وعند اتباع منحنيات عرجاء غير مؤكدة لمسافة قصيرة تجدها تتلاشى فجأة بالغرق قبالة زوايا فاحشة، مدمّرة نفسها بما لم يسمع به من متناقضات.

اللون طارد، تقريبًا ثائر، أصفر غير نظيف مشتعل، وقد ذوى بغرابة مع تحوّل أشعة الشمس البطيء.

اللون برتقالي باهت متوهّج في بعض أماكن، بينما بدت صبغة كبريت شاحبة في مناطق أخرى.

لا عجب أن كرهه الأطفال! كان ينبغي أن أكرهه بنفسي إذا ما تحتّم عليّ أن أعيش طويلًا في تلك الغرفة.

ها قد جاء "جون"، وينبغي أن أُبعد هذا جانبًا، فهو يكره أن يراني أخطّ أيّة كلمة.

* * *

مكثنا هنا أسبوعين، ولم يراودني شعور من قبل مثلما راودني عن الكتابة، منذ ذلك اليوم الأول.

أجلس بجانب النافذة الآن، بأعلى في حجرة التمريض الفظيعة، وليس هناك ما يعيق كتابتي بقدر ما أرجو سوى نقص ادخار القوة.

يظلّ "جون" بعيدًا طوال النهار، وأحيانًا بعض الليالي عند وجود حالات خطيرة.

يسرّني أن حالتي ليست خطيرة!

لكن مشاكل الاكتئاب العصبي هذه محبطة بشكل مخيف.

لا يعرف "جون" كم أعاني حقًّا. هو يعرف أنه لا يوجد سبب للمعاناة، يرضيه.

بالطبع، هي العصبية فقط. إنه يثقل عليَّ حتى لا أقوم بواجبي بأيّة حال من الأحوال!

عنيت أن أقدم مثل هذه المساعدة لـ"جون"، مثل هذه الراحة الحقيقية والعون، وها أنا أصبح عبئًا مقارنًا بالفعل!

لن يصدّق أحد أيّ جهد ينبغي القيام به مهما كان صغيرًا أنا قادرة على القيام به، كأن أرتدي ملابسي، أو أقوم بالترفيه، أو أصدر أوامر.

من حسن الحظ أن "ماري" جيّدة مع الطفل. مثل هذا الطفل العزيز!

لكن كوني لا أستطيع أن أكون معه، يجعلني شديدة العصبية.

أعتقد أن "جون" لم يكن أبدًا عصبيًّا في حياته. إنّه يضحك في وجهي مثلما يضحك أمام ورق الحائط هذا!

أراد في البداية تغيير ورق الحجرة، لكنه قال بعد ذلك إنه سيسمح به للحصول على الأفضل مني، وكان هذا العدم أسوأ شيء لمريض نفسي عمّا لو أفسح المجال لإطلاق مثل تلك الأهواء.

وقال إنّه بعد تغيير ورق الحائط، سيكون هيكل السرير ثقيلًا مع النوافذ المسورة، والبوابة التي أمام الدرج، وما إلى ذلك.

وقال: "أنتِ تعرفين أنّ المكان يجعلك بحالة جيّدة، وأنا حقًّا يا عزيزتي لا أهتم بتجديد منزل خلال تأجيره مدة ثلاثة أشهر".

قلت: "إذًا، دعنا نهبط إلى الطابق السفلي. توجد غرف جميلة بالفعل هناك".

لكنه أخذني بين ذراعيه، داعيًا إيّاي بأوزته الصغيرة المباركة، وقال إنه سيهبط إلى القبو، وإذا ما رغبت أن يجري تبييضه، سيجعله في الصفقة.

لكنه كان على صواب بما فيه الكفاية بالنسبة للأسرّة والنوافذ والأشياء الأخرى.

إنها غرفة جيّدة التهوية، مريحة كما قد يتمناها أيّ فرد، وبالطبع لن أكون شديدة السخف لجعله غير مرتاح لمجرّد نزوة.

إنني شديدة الولع حقًّا بالحصول على غرفة كبيرة، أيّ شيء ما عدا ذلك الورق البشع.

أستطيع أن أرى الحديقة من خلال إحدى النوافذ، وتلك التعريشات الغامضة المظللة بعمق، والأزهار قديمة الطراز الوافرة، والشجيرات، والأشجار ذات العقد.

كما يمكنني أن أرى من نافذةٍ أخرى مشهدًا جميلًا للخليج ورصيفًا خاصًا تابعًا للولاية. هناك مسار مظلل جميل ينطلق من المنزل موصلًا إلى هناك. أتخيّل دائمًا أنني أرى الناس يمشون عبر هذه المسارات والتعريشات، لكن "جون" حذرني من ألا أفسح المجال للتوهّم على أقل تقدير. يقول مع قوة خيالي وعادة ابتكار قصة، فإنّ ضعفًا عصبيًّا مثل ما أعاني سيكون من المؤكد أن يؤدي إلى سلوك كلي من أهواء حماسية، وإنني يجب أن أستخدم إرادتي وحسّي السليم للتحقق من توجهي. لذلك أحاول.

أفكر أحيانًا أنني سأكون بحالة جيّدة بما فيه الكفاية عندما أكتب قليلًا، فمن شأن الكتابة أن تخفف ضغط الأفكار وتريحني.

لكنني أجد نفسي متعبة دائمًا عندما أحاول.

من المثبط للعزائم ألا يكون لديّ مشورة أو رفقة في عملي. عندما أصبح بحالة جيّدة فعلًا، يقول "جون" إننا سنطلب من ابن العم "هنري" و"جوليا" أن يقضيا معنا زيارة طويلة، لكنه يضيف أنه حالما يضعا ألعابًا نارية في غطاء وسادتي، سيكون الأمر كما لو أنه يدعني مع هؤلاء الناس وحدي في الوقت الحاضر.

أتمنّى أن أتحسّن بشكلٍ أسرع.

لكن لا ينبغي التفكير في ذلك. يبدو ورق الحائط هذا كما لو أنه يعرف ما يمتلك من تأثيرٍ فاسد!

هناك بقعة متكررة يبدو فيها هذا الورق متدليًا مثل رقبة مكسورة وعينين منتفختين تحدّقان فيك من أعلى إلى أسفل.

شعرت بغضبٍ عنيف من عدم ارتباط تلكما العينين العبثيتين واستمراريتهما. كانا يزحفان من أسفل لأعلى وإلى الجوانب، وكانتا لا تطرفان في أيّ مكان. كان هناك مكان واحد فقط ظلّ فيه نفسان غير متوافقين، ومضت العينان جميعًا لأعلى وأسفل المسار، إحداها أعلى قليلًا من الأخرى.

لم أرَ من قبل أبدًا مثل أسلوب التعبير هذا على شيء غير متحرّك، ونحن جميعًا نعرف كم من تعبيراتٍ لديه! اعتدت أن أمكث يقظة كطفلة لأحصل على تسلية ورعب أكثر من حوائط خالية وأثاث فارغ أكثر مما يستطيع معظم الأطفال أن يجدوه في متاجر اللعب.

أتذكّر غمرة الكرم من مقابض مكتبنا الكبير القديم، التي اعتدنا الحصول عليها، كما كان هناك كرسي وحيد بدا دائمًا كصديقٍ قويّ.

اعتدت أن اشعر أنّه إذا بدت أيّ من الأشياء الأخرى شرسة، يمكنني اللجوء إلى ذلك الكرسي فأكون آمنة.

أصبح الأثاث في هذه الغرفة أسوأ من متنافر، ومع ذلك، كان علينا أن نحمله جميعًا من الطابق السفلي. أفترض أنه عندما استُخدمت هذه الغرفة كغرفة لعب، كان عليهم أن يأخذوا أدوات التمريض بعيدًا، ولا عجب!

لم أرَ أبدًا مثل هذا التخريب الذي صنعه الأطفال هنا.

إنّ ورق الحائط، كما قلت آنفًا، قد تمزق في بقع تلاصقت متقاربة مثل إخوة، لابد أن ذلك نتج عن مثابرة وكراهية.

ثم تخدش الأرض وتتقوّر وتشق، وقد برز الجصّ نفسه هنا وهناك، وهيكل هذا السرير العظيم الثقيل الذي كان كلّ ما وجدناه جميعًا في الغرفة، بدا كما لو كان من نتاج الحروب.

وأنا لا أمانع إطلاقًا، إلا بالنسبة للورق.

هنا تأتي أخت "جون". كانت مثل فتاة عزيزة، شديدة الحرص بالنسبة لي! ينبغي ألا أدعها تجدني أكتب.

إنها مدبّرة منزل مثالية ومتحمّسة، ولا تطمح إلى مهنة أفضل. إنني أومن يقينًا أنها تعتقد أن الكتابة هي التي تجعلني مريضة!

لكن يمكنني أن أكتب عندما تكون بالخارج، بعد رؤيتها من تلك النوافذ وقد ابتعدت.

هناك نافذة تبرز الطريق، طريق جميل متعرّج مظلل، حتى ليبدو وكأنّه يطلّ على كلّ أنحاء الريف. ريف جميل أيضًا، ممتلئ بأشجار دردار عظيمة ومروج مخملية.

نوع ورق الحائط هذا من نمط فرعي، بتظليل مختلف، مزعج بشكل خاص، لأنّك تراه فقط تحت أضواء معيّنة، لكن ليس بشكل واضح.

يمكن أن أرى إثارة غريبة لتشخيص غير متشكل، يبدو متواريًا خلف مقدمة تصميم سخيف واضح، وذلك في الأماكن التي لا يتلاشى فيها، حيث تكون الشمس مشرقة فقط..

هناك أخت على الدرج!

* * *

حسنًا، انتهى الرابع من يوليو! ولّى كلّ الناس، وأنا استُنزفت. اعتقد "جون" أنّ من الأفضل لي أن أرى مجموعة صغيرة. استضفنا للتو: الأم، و"نيلي"، والأطفال لمدّة أسبوع.

بالطبع لم أفعل أيّ شيء. "جيني" تتولى الآن كلّ شيء.

لكن كلّ ذلك يتعبني بنفس الدرجة.

يقول "جون" لو لم أتحسن أسرع سيرسلني إلى "وير ميتشيل" في الخريف.

لكنني لا أريد إطلاقًا أن أذهب إلى هناك. كان لديّ صديقة كانت بين يديه ذات مرّة، وهي تقول إنه يشبه "جون" وأخي فقط، ليس أكثر من ذلك!

إلى جانب، أنّ ذلك يشبه الذهاب بعيدًا مباشرةً!

إنني لا أشعر كما لو أنّ هناك ما يستحق تحويل يديّ نهائيًا أو بعض الوقت لأيّ شيء، وهو ما يصيبني بعبوسٍ مخيف مشاكس.

أبكي من أيّ شيء، أبكي غالبية الوقت.

بالطبع، لا أفعل ذلك حين يكون "جون" موجودًا هنا، أو أيّ شخص آخر، فقط عندما أكون وحدي.

وأنا وحدي الآن فقط أشعر أنني على ما يرام. يمكث "جون" في المدينة في كثير من الأحيان، بسبب الحالات الخطيرة، و"جيني" طيبة، تدعني وحدي عندما أرغب في ذلك.

هكذا أتمشّى قليلًا في الحديقة، أو عبر ذلك الممر الجميل، وأجلس على الشرفة تحت الورود، كما أستلقي هناك كفعلٍ مريح.

أصبحت مولعة بالحجرة على الرغم من ورق الحائط. وربّما بسبب من ورق الحائط.

إنه يسكن هكذا في ذهني!

إنني أرقد هنا على هذا السرير الكبير الذي لا يتحرّك لأنه مثبت لأسفل. أعتقد، وأتبع هذا النمط على مدار الساعة، أنه جيّد مثل الجمباز، أؤكد لكم. لقد بدأت، سنقول، عند القاع، عميقًا في الزاوية هناك حيث لم يمس، ويمكنني التحديد كنوع من استنتاج للمرّة الألف بأنني سأتبع ذلك النمط.

أعرف قليلًا من مبادئ التصميم، وأعرف أن هذا الشيء لم يرتب وفق أيّة قوانين للطاقة المشعة، أو الاختلاف، أو التكرار، أو أيّ شيء آخر سمعت به في أيّ وقت مضى.

إنه يتكرر، طبعًا، باتساع، وليس بأيّة طريقة أخرى.

نظرت إليه بأسلوب معيّن حيث ينتصب كلّ عرض متفردًا، بينما المنحنيات المتضخمة والمزدهرة - كنوع "رومانسي ممجوج" مع هذيان ارتعاشي - تتهادى صعودًا وهبوطًا في أعمدة حمقاء معزولة.

لكن من ناحيةٍ أخرى، تتصل قطريًّا، وتجري الخطوط العريضة المترامية الأطراف في موجات كبيرة من رعب بصري، مثل كثير من أعشاب بحرية منهمكة في مطاردة كاملة.

يمضي كلّ شيء بشكل أفقي أيضًا، أو على الأقلّ يبدو كذلك، وقد استهلكت نفسي في محاولة تمييز النظام من خلال ذهابه في ذلك الاتجاه.

لقد استخدموا اتساعًا أفقيًّا لنسيج الفريز الصوفي، وهو ما أضاف روعة إلى الفوضى.

كانت هناك إحدى نهايات الغرفة، التي كانت تبدو سليمة تقريبًا، عندما تزوي الأضواء المتقاطعة وتشعّ الشمس الواهنة مباشرةً عليها، يمكنني تخيّل الطاقة المشعّة رغم كلّ شيء، حيث تظهر زخرفة لا متناهية في تشكيل حول مركز مشترك، مندفعة بعيدًا في اندفاعات متهوّرة من الهاءات متساوية.

كم تتعبني متابعتها. سوف آخذ غفوة، كما أعتقد.

* * *

لا أدري لماذا ينبغي أن أكتب هذا.

أنا لا أرغب في ذلك. لا أشعر أني قادرة، كما أعرف أن "جون" سيعتقد أن هذا مجرّد عبث، لكن ينبغي أن أقول ما أشعر به بشكلٍ ما باعتباره انفراجة!

لكن الجهد بدأ يصبح أعظم من مجرد انفراجة.

أنا كسولة الآن نصف الوقت بفظاعة، وكثيرًا ما أتمدد مستلقية.

يقول "جون" إنني يجب ألا أفقد قوتي، ويجبرني على تناول زيت سمك القدّ، والكثير من المقوّيات، والأشياء الأخرى، دون أن أقول شيئًا عن البيرة والنبيذ واللحوم النادرة.

عزيزي "جون"! إنه يحبني كثيرًا جدًّا، ويكره أن يراني مريضة. حاولت أن أجري نقاشًا حقيقيًا معقولًا جادًّا معه في ذلك اليوم، وأن أخبره كم أتمنى أن يسمح لي بالذهاب لزيارة ابنَيْ العم "هنري" و"جوليا".

لكنه قال إنني غير قادرة على الذهاب، ولست قادرة على احتمال ما بعد الوصول إلى هناك، وإنني لم أفهم نفسي بشكل جيّد، لأنني كنت أبكي قبل أن أنتهي.

أصبح الأمر يحتاج إلى مجهود عظيم منّي للتفكير السليم. أفترض أن ذلك بسبب الضعف العصبي.

تلقفني عزيزي "جون" بين ذراعيه، وحملني إلى الطابق العلوي، ومددني على السرير، وجلس إلى جواري، وراح يقرأ لي حتى تعبت رأسي.

قال إنني حبيبته وراحته وإنني كلّ ما لديه، وإنني ينبغي أن أهتم برعاية نفسي من أجله، حتى أكون على ما يرام.

يقول إن لا أحد يستطيع مساعدتي للخروج من هذا الجوّ، وإنني يجب أن أستخدم إرادتي وضبط النفس، وألا أدع أيّة أوهام سخيفة تحدث معي.

هناك راحة وحيدة، فالطفل بحالة جيدة وسعيد، وليس من الضروري أن تشغل حجرة التمريض بورق الحائط البشع.

لو لم نستخدمها لاستخدمها ذلك الطفل المبارك! يا له من هروب محظوظ!

لم أفكر في ذلك من قبل أبدًا، لكن من حسن الحظ أن أبقاني "جون" هنا رغم كلّ شيء، حيث أمكنني، كما ترى، الاحتمال بشكل أسهل كثيرًا من طفل.

بالطبع، لم أذكر لهم أكثر من ذلك - أنا حكيمة أيضًا - لكني أظلّ أراقب.

هناك أشياء في الورق لا يعرفها أحد سواي، أو لن يعرفها أحد أبدًا.

وراء هذا النمط الخارجي أشكال قاتمة تصبح أكثر وضوحًا كلّ يوم.

إنه دائمًا نفس الشكل، فقط بشكل متعدد.

يشبه امرأة تنحدر إلى أسفل، وتزحف فيما وراء النمط. أنا لا أحبّ ذلك قليلًا. أتساءل - بادئةً في التفكير - أتمنى أن يصحبني "جون" بعيدًا عن هنا!

* * *

من الصعب الحديث مع "جون" عن حالتي، لأنّه شديد الحكمة، ولأنّه يحبّني أيضًا.

لكنني حاولت ذلك الليلة الماضية.

إنه ضوء القمر. يضيء القمر كلّ ما حولنا مثلما تفعل الشمس.

أكره أن أرى ذلك في بعض الأحيان، حين يتسلل الضوء ببطء شديد، ويأتي دافئًا من خلال نافذة أو أخرى.

كان "جون" نائمًا، وكنت أكره أن أوقظه، لذلك ظللت ثابتة، أراقب ضوء القمر متموّجًا على ورق الحائط حتى شعرت بالروع!

بدا أنّ الشكل المصاب بدوار وراءه يهزّ النمط، تمامًا كما لو أنه يريد الخروج.

نهضت بهدوء وذهبت كي أتحسس وأرى ما إذا كان الورق يتحرّك فعلًا، وعندما عدت كان "جون" قد استيقظ.

قال: "ماذا يحدث، أيتها الفتاة الصغيرة؟ لا يجب أن تستمري في التجوّل بهذا الشكل، لأنك ستبردين".

اعتقدت أنه كان وقتًا مناسبًا للحديث، لذا أخبرته أنني لم أكن أتحسّن هنا حقًّا، وأنني أتمنى أن يأخذني بعيدًا.

قال: "لماذا يا حبيبتي؟ سيستمر عقد إيجارنا ثلاثة أسابيع أخرى، ولا أعرف كيف أغادر قبل هذا الموعد".

وبعد فترة صمت قال "لم تتم إصلاحات بالمنزل، ولا يمكنني أن أغادر المدينة الآن. طبعًا، لو كنت في أيّ خطر لأمكنني أن أفعل، لكنك يا عزيزتي حقًّا في أفضل حال، سواء لاحظت ذلك أم لا. أنا طبيب، يا عزيزتي، وأعرف. أنت تكتسبين شحمًا ولونًا وشهيتك أفضل، إنني أشعر حقًّا بتحسّن حالتك كثيرًا".

قلت "لم يزد وزني قليلًا ولا كثيرًا، وربّما تحسّنت شهيتي في المساء عندما تكون هنا، لكنها تسوء في الصباح عندما تكون بعيدًا!".

قال مع عناق كبير "ليتبارك قلبك الصغير! ستكونين مريضة كما تشائين! لكن الآن دعينا نحسّن الساعات المشرقة بالذهاب للنوم، والحديث عنها في الصباح!".

تساءلت مكتئبة "ألن تذهب بعيدًا؟".

"لماذا، كيف يمكنني يا عزيزتي؟ إنها ليست سوى ثلاثة أسابيع، ثم سنقوم برحلة صغيرة لطيفة لبضعة أيام بينما تحصل "جيني" على المنزل جاهزًا. حقًّا، يا عزيزتي، أنتِ أفضل!".

"أفضل في الجسم، ربّما..". بدأت، وتوقفت سريعًا، لأنّه انتصب جالسًا متطلعًا إليّ بنظرة حادة عاتبة تدعوني ألا أضيف كلمة أخرى.

قال "يا عزيزتي، أتوسّل إليكِ، من أجلي ولأجل خاطر طفلنا، تمامًا كما هو من أجلك، ألا تدعين لوهلة واحدة تلك الفكرة تدخل إلى ذهنك! ليس هناك شيء شديد الخطورة، شديد الروع، على مزاجك مثلك. إنه وهم زائف غبي. هل يمكنك أن تثقي بي كطبيب حين أقول لك ذلك؟".

وهكذا، لم أضف شيئًا طبعًا بهذا الخصوص، وذهبنا للنوم بعد مرور وقت طويل. لقد ظنّ أنني نمت أولًا، لكنني لم أفعل، ورقدت هناك ساعات محاولة أن أقرر ما إذا كان النمط الأمامي والخلفي لورق الحائط قد تحركا فعلًا معًا أم منفصلين.

* * *

هناك نقص في التتابع، استخفاف بالقانون، على نمط مثل هذا، في ضوء النهار، الذي يعتبر مصدر إزعاج مستمر لعقل عادي.

اللون بشع بما فيه الكفاية، لا يمكن الاعتماد عليه بما فيه الكفاية، مثير للغضب بما فيه الكفاية، إنّه نمط معذب.

كنتِ تعتقدين أنكِ تفهمينه، لكن تمامًا كما حدث في أعقاب ذلك، حين تحوّل إلى الوراء في شقلبة، وكنتِ هناك فصفعك على الوجه، أسقطك أرضًا، وداس عليكِ. بدا ذلك كحلم مزعج.

يعتبر خارج النمط زخرفة عربية رديئة، تذكّر المرء بالفطريات. إذا كنت تستطيع تخيّل الفطر في المفاصل، نسيج لا ينتهي، ينتشر في مهد تلافيف لا نهاية لها.. لماذا، إنه شيء يشبه ذلك.

ذلك هو الأمر في بعض الأحيان!

هناك خصوصية ملحوظة حول هذا الورق، شيء لم يلاحظه أيّ فرد سواي، وهو أنّه يتغيّر مع تغيّر الضوء.

عندما تتدفق أشعة الشمس من خلال النافذة الشرقية - أشاهد ذلك دائمًا مع الشعاع الأول الطويل المباشر - إنه يتغيّر بسرعة لدرجة أنني لا يمكنني تصديق الأمر تمامًا.

ذلك هو السبب في أنني أراقبه دائمًا.

ضوء القمر، يضيء القمر ورق الحائط كلّ ليلة عند وجوده، لدرجة أني قد لا أعلم أنّه نفس الورق.

في الليل، مع أيّ نوع من الضوء، الشفق، ضوء الشموع، ضوء المصباح، والأسوأ من ذلك كله عندما يصبح ضوء القمر قضبانًا! أعني يظهر النمط الخارجي، والمرأة التي وراءه واضحة بقدر الإمكان.

لم أدرك لمدّة طويلة ما هو الشيء الذي كان يظهر من وراء ذلك النمط الفرعي القاتم، لكنني الآن واثقة تمامًا من أنّها المرأة.

إنّها تقهر تمامًا مع ضوء النهار. أتوهّم أنّ النمط هو الذي يحافظ عليها قائمة. إنه أمر مثير للحيرة. يبقيني هادئة على مدار الساعة.

غالبًا ما أستلقي الآن كثيرًا. يقول "جون" إنّ النوم بقدر ما أستطيع جيّد بالنسبة لي.

الواقع أنه بدأ هذه العادة بجعلي أستلقي لمدّة ساعة بعد كلّ وجبة.

أنا مقتنعة بأنّها عادة سيئة جدًّا، لأنني كما ترى لا أنام.

وذلك يزرع الخداع، لأنني أخبرهم أنني متيقظة..أوه، لا!

الحقيقة، أنني بدأت أخاف قليلًا من "جون".

إنه يبدو شديد الغرابة أحيانًا، وحتى "جيني" لديها نظرة لا يمكن تفسيرها.

إنها تدهشني أحيانًا، كفرضية علمية تمامًا.. ربّما تكون هي الورق!

لقد راقبت "جون" عندما لم يكن يعرف أنني أراقبه، حين يأتي إلى الغرفة فجأة بأشد الأعذار براءة، وقد ضبطته أكثر من مرّة وهو ينظر إلى الورق! و"جيني" أيضًا. لقد ضبطت "جيني" ذات مرة ويدها عليه.

لم تكن تعرف أنني في الغرفة، وحين سألتها بصوتٍ هادئ، شديد الهدوء، بأقصى طريقة متحفظة ممكنة، ماذا تفعل مع الورق؟. استدارت كما لو أنها ضُبطت تسرق، وبدت غاضبة تمامًا، وسألتني لماذا أخيفها بهذا الشكل!

ثم قالت إنّ الورق يتلطخ بأيّ شيء يمسه، لدرجة أنها وجدت لطخًا صفراء على جميع ملابسي وملابس "جون"، وتمنت لو نكون أكثر حذرًا!

ألا يعبّر هذا عن سذاجة؟ لكنني عرفت أنها تدرس هذا النمط، وأنا مصممة على ألا يكتشفه أحد سواي.

* * *

الحياة هي أكثر إثارة الآن عمّا كانت عليه من قبل. وكما ترى لديّ أشياء أكثر كي أتوقعها، كي أتطلع إليها، كي أشاهدها. إنني أتناول الطعام بشكل أفضل، وأكثر هدوءًا عمّا كنت عليه.

يسرّ "جون" لرؤيتي أتحسّن! ضحك قليلًا في ذلك اليوم، قائلًا يبدو إنني أزدهر على الرغم من ورق الحائط.

التفت إليه بضحكة. لم تكن لديّ أية نيّة أن أخبره أنّ ذلك بسبب ورق الحائط. . كان يسخر مني بسببه. بل ربّما يريد أن يأخذني بعيدًا.

لا أريد أن أغادر الآن حتى أكتشف الأمر. ما زال هناك أسبوع، وأعتقد أنه سيكون كافيًا.

* * *

أشعر أنني أفضل كثيرًا من أيّ وقت مضى! لا أنام كثيرًا بالليل لأنّه من المثير مشاهدة التطوّرات، لكنني أنام جيّدًا في النهار.

يعتبر النهار مملًا ومحيرًا.

هناك دائمًا براعم جديدة على الفطريات، وظلال جديدة من اللون الأصفر يغمرها جميعًا. لا أستطيع المحافظة على إحصائها، رغم أنني حاولت بجديّة!

إنه أغرب لون أصفر، لون ورق الحائط ذاك! يجعلني أفكّر في كلّ الأشياء الصفراء التي شاهدتها، ليست جميلة مثل شقائق النعمان، لكنها أشياء صفراء، قديمة، قاسية، سيئة.

لكن هناك شيء آخر حول ذلك الورق.. الرائحة! لقد لاحظت ذلك منذ لحظة أن دخلنا الغرفة، لكنها لم تكن سيئة مع وجود الكثير من الهواء والشمس. لدينا الآن أسبوع من ضباب ومطر، وسواء أكانت النوافذ مفتوحة أم لا، تظلّ الرائحة موجودة هنا.

إنها تتسلل عبر كلّ أنحاء البيت.

أجدها تحوم في غرفة الطعام، تتسلل في الصالون، تختبئ في القاعة، تتمدد منتظرة على الدرج.

لقد وصلت إلى شعري.

حتى عندما أنطلق، إذا أدرت رأسي فجأة يدهشني أن تكون تلك الرائحة هناك!

لها ذلك العطر الغريب، أيضًا! لقد أمضيت ساعات في محاولة تحليله كي أكتشف ما يشبه.

إنها ليست سيئة .. في البداية، بل لطيفة جدًّا، لكنها الرائحة الأكثر ديمومة ممّا سبق أن قابلته على الإطلاق.

إنّها فظيعة في هذا الطقس الدبق. إنني أستيقظ ليلًا لأجدها معلقة فوق رأسي.

لقد اعتادت أن تزعجني في البداية، حتى فكّرت جادة في حرق المنزل كي أصل إلى تلك الرائحة.

لكنني اعتدت الآن عليها. الشيء الوحيد الذي يمكنني أن أفكّر أنه يشبهها هو لون الورق! رائحة صفراء.

هناك علامة مضحكة على هذا الجدار، منخفضة لأسفل، قرب ازار الحائط، حيث يمتدّ خط حول الغرفة. إنّه يمضي فيها وراء كلّ قطعة أثاث، ما عدا السرير، يمتد طويلًا مستقيمًا حتى اللطخة، كما لو أنه جرى حكّه مرارًا وتكرارًا.

أتساءل عن كيفيّة القيام بها، ومن قام بها، والسبب في عملها. أدور، وأدور، وأدور. أدور، وأدور، وأدور. مِمّا يجعلني أشعر بالدوار.

* * *

اكتشفت شيئًا أخيرًا.

عندما كان يحدث التغيّر، اكتشفته في نهاية المطاف، من خلال مراقبته كثيرًا بالليل.

تتحرك مقدمة النمط فعلًا، ولا عجب! تهزها المرأة من وراء!

أعتقد أحيانًا أنّ هناك عددًا عظيمًا من النساء ورائه، وأحيانًا واحدة تزحف سريعًا فيهزّ زحفها كلّ شيء.

لا تزال تحافظ على النقاط المضيئة، وتمسك فقط بالنقاط المظللة على القضبان، وتهزّها بشدة.

تحاول التسلق في كلّ لحظة عبره. لكن لا أحد يستطيع التسلق عبر ذلك النمط، لأنه يخنق، وأعتقد أن ذلك هو السبب في كثرة عدد الرؤوس.

إنها تأتي من خلاله، ثم يخنقها النمط ويسقطها من أعلى لأسفل، جاعلًا عيونها بيضاء!

إذا كانت تلك الرؤوس مغطاة أو منزوعة، فإنها لن تكون شديدة السوء.

* * *

أعتقد أن تلك المرأة تخرج في ضوء النهار!

وأخبرك عن السبب - بشكل خاص - من مشاهدتها!

أستطيع أن أراها بعيدًا من كلّ نافذة من نوافذي!

إنّها نفس المرأة، أنا أعرف، لأنّها تزحف دائمًا، ومعظم النساء لا يتسللن خلال ضوء النهار.

لقد رأيتها على امتداد هذا الطريق الطويل تحت الأشجار، زاحفة على المدى، وعندما تأتي عربة، تختبئ تحت اعتراشات الفراولة.

أنا لا ألومها كثيرًا. ينبغي أن يكون الأمر مهينًا حين تُضبط أثناء الزحف خلال النهار!

إنني أقفل الباب دائمًا عندما أزحف خلال ضوء النهار. لا يمكن أن أفعل ذلك ليلًا، لأنني أعلم أن "جون" سيشكّ في الأمر على الفور.

يعتبر "جون" الآن، غريبًا تمامًا، ولا أريد أن أضايقه. أتمنّى أن يشغل غرفة أخرى! وأنا لا أريد إلى جانب ذلك، من أيّ شخص أن يقبض على تلك المرأة ليلًا، سواي.

كثيرًا ما أتساءل عمّا إذا كان بإمكاني رؤيتها تخرج من كلّ النوافذ في وقت واحد.

لكن ما إن أستدير بقدر ما أستطيع، لا يمكنني أن أرى الخارج سوى مرة واحدة في وقت واحد.

وعلى الرغم من أنني أنظر إليها فجأة، فإنها تكون دائمًا قادرة على الزحف أسرع من استدارتي!

لقد شاهدتها بعيدًا في بعض الأحيان في الريف المفتوح، زاحفة بأسرع من ظلّ سحابة وسط الرياح العالية.

* * *

لو أمكن فقط لذلك النمط الأعلى أن ينفصل من تحت إحداها! أعني أن يحاول ذلك، شيئًا فشيئًا.

لقد اكتشفت شيئًا مضحكًا آخر، لكنني لن أحكي عنه هذه المرّة! إنه لا يؤثر في الثقة بالناس.

لم يبقَ سوى يومين لانتزاع هذا الورق، وأعتقد أن "جون" بدأ يلاحظ. أنا لا أحبّ نظرة عينيه.

سمعته يسأل "جيني" كثيرًا من أسئلة مهنيّة عني. وكان لديها تقرير جيّد.

قالت إنني نمت فترة طويلة في وقت النهار.

يعرف "جون" إنني لا أنام جيّدًا ليلًا، عمومًا كنت هادئة تمامًا!

سألني كلّ أنواع الأسئلة أيضًا، متظاهرًا أنّه محبّ جدًّا ورقيق.

كما لو أنني لا يمكنني معرفة ما يفكر فيه!

ومع ذلك، لم أتساءل عن كيفية تصرّفه بهذا الشكل، نائمًا إلى جوار ذلك الورق لمدّة ثلاثة أشهر.

إنه يثير اهتمامي فقط، لكنني أشعر أن "جون" و"جيني" قد تأثرا سرًّا به.

* * *

مرحى! هذا هو اليوم الأخير، لكن هذا لا يكفي. "جون" سيمكث في المدينة طوال الليل، ولن يغادر حتى المساء.

أرادت "جيني" النوم معي.. شيء خبيث! لكنني أخبرتها أنني أفضل دون شكّ أن أرتاح الليل كله وحدي.

كانت تلك براعة لأنني لم أكن أبدًا وحدي! حالما أصبح الوقت في ضوء القمر، وبدأ ذلك الشيء المسكين في الزحف وهزّ النمط، نهضت وركضت لمساعدته.

جذبت أنا بينما هزّ هو، هزّ هو بينما جذبت أنا، وقبل بزوغ الصباح كنا قد سلخنا ياردات من ذلك الورق.

هناك قطعة بلغ ارتفاعها رأسي، وبلغ طولها نصف دورة حول أنحاء الغرفة.

وعندما تشرق الشمس فإنّ ذلك النمط الفظيع يبدأ الضحك في وجهي، وقد أعلنت أنني قد أنهيه اليوم!

سنذهب غدًا بعيدًا، وهم يحركون كلّ ما لديّ من أثاث إلى أسفل مرّة أخرى لإعادة الأمور على ما كانت عليه من قبل.

تطلعت "جيني" إلى الحائط مذهولة، لكنني أخبرتها بمرح أنني فعلت ذلك بالرغم من رداءة وجود ذلك الشيء. ضحكت قائلة إنها لا تمانع من القيام بذلك من نفسها، لكن لا ينبغي أن يصيبني الإرهاق.

كيف خانت نفسها في تلك المرّة!

لكني هنا، دون أن يلمس أيّ شخص هذا الورق الذي ليس حيًّا، سواي!

حاولت أن تخرجني من الغرفة.. كان منتشرًا أيضًا! لكنني قلت إن ذلك هادئ تمامًا وفارغ ونظيف الآن لدرجة أنني اعتقدت أنني يجب أن أرقد ثانيةً وأنام بقدر ما أستطيع، دون أن يتم إيقاظي حتى العشاء.. يمكنني أن أنادي حين أصحو.

الآن، هي تذهب، والخدم يذهبون، والأشياء تذهب، لم يبقَ سوى ذلك السرير المثبت لأسفل فوق حشيّة قماش الكانفاه التي وجدناه عليها.

سننام الليلة بالدور السفلي، وسنأخذ قارب العودة للبيت غدًا.

لقد تمتعت بالغرفة تمامًا، لكنها أصبحت عارية مرّة أخرى.

كيف سالت دموع أولئك الأطفال هنا!

لقد أزعجني هيكل هذا السرير بوضوح!

لكن ينبغي أن أمضي للعمل.

أغلقت الباب ورميت بالمفتاح إلى الممر الأمامي.

لا أريد أن أخرج، ولا أريد أن يدخل أيّ فرد حتى يأتي "جون".

أريد أن أدهشه.

لقد أعددت حبلًا هنا بأعلى، لن تجده "جيني". وإذا خرجت تلك المرأة وأرادت أن تمضي بعيدًا، أستطيع أن أربطها.

كنت قد نسيت أني لا أستطيع أن أصل بعيدًا، دون شيء للوقوف عليه!

لكن هيكل هذا السرير لن يتحرّك!

لقد حاولت أن أرفعه وأدفعه حتى أصبحت عرجاء، ثم انتابني غضب شديد عندما آذى أسناني انتزاع قطعة صغيرة من الركن.

ثم سلخت كلّ الورق الذي أمكنني الوصول إليه واقفة على الأرضية. إنه يلتصق بفظاعة بينما يتمتع النمط به! كلّ تلك الرؤوس الغرائبية والعيون المنتفخة والفطر المستشري النامي يصرخ فقط بسخرية!

أصبحت غاضبة بشكل كافٍ للقيام بفعل يائس. أن أقفز خارج النافذة سيكون تمرينًا مثيرًا للإعجاب، لكن القضبان قويّة جدًّا حتى لمجرّد محاولة.

إلى جانب أنني لن أفعل ذلك. لا، بطبيعة الحال. أعرف بما فيه الكفاية أن مجرّد خطوة كهذه هي غير صحيحة، وربّما تكون غير لائقة.

أنا لا أحبّ حتى التطلع من النوافذ إلى الخارج، فهناك عديد من هؤلاء النسوة الزاحفات، وهن يزحفن بسرعة.

أتساءل عمّا إذا كنّ جميعهن قد أتين من ورق الحائط ذلك، مثلما فعلت؟

لكنني الآن مربوطة بإحكام بواسطة حبلي المخفى جيدًا، وهو ما لن يخرجني عن الطريق هناك!

أعتقد أنه سيتحتم عليّ أن أعود إلى ما وراء النمط عندما يأتي الليل، وذلك صعب!

من المسرّ أن أتجوّل في هذه الغرفة، وأزحف وفق ما أرغب!

لا أريد الذهاب إلى الخارج، ولن أفعل، حتى لو طلبت مني "جيني" ذلك.

لأنّه يتحتم عليك في الخارج أن تزحف على الأرض، حيث كل شيء أخضر بدلًا من الأصفر.

لكن هنا يمكنني الزحف بسلاسة على الأرض، حيث يناسب كتفي ذلك المكان الطويل السلس حول الحائط، لذلك لا يمكنني أن أفقد طريقي.

لماذا يقف "جون" هناك عند الباب!

لا فائدة أيها الشاب، لن يمكنك فتحه!

كيف يقوم بالنداء والدقّ!

إنه يصيح الآن مطالبًا بفأس.

سيكون من العار تدمير هذا الباب الجميل!

قلت بألطف صوت: "جون، يا عزيزي، إنّ المفتاح موجود إلى أسفل بجوار الدرجات الأمامية تحت ورقة شجر موز الجنة".

أسكته ذلك بضع لحظات.

ثم قال، بهدوء جدًّا في الواقع: "افتحي الباب، يا حبيبتي!".

قلت: "لا أستطيع، لأنّ المفتاح موجود إلى أسفل بجوار الباب الأمامي تحت ورقة شجر موز الجنة".

ثم قلت ذلك مرّة أخرى، عدّة مرات، بلطف شديد وبطء، كررت ذلك في كثير من الأحيان حتى يذهب ويرى، وقد حصل عليه بطبيعة الحال، ودخل. توقف قليلًا بجوار الباب.

صرخ: "ماذا حدث؟ من أجل خاطر الإله، ماذا تفعلين!".

استمررت في الزحف بنفس الطريقة، لكني نظرت إليه من فوق كتفي.

قلت: "لقد تحررت أخيرًا، على الرغم منك ومن "جين". ولقد نزعت معظم الورق، حتى لا تعيدني مرّة أخرى!".

الآن، لماذا أغمي على ذلك الرجل؟ لقد سقط، تمامًا عبر ممرّي بجوار الجدار، بحيث اضطررت إلى الزحف فوقه في كلّ مرة!



الرأس الذي سقط

(1)

أسقط "زياو ار" سيفه، وقبض على عرف حصانه، مفكرًا "إنني على يقين من أن رأسي قد قُطع". لا، بل ربّما عبرت تلك الفكرة ذهنه فقط بعد أن استمر معلقًا بالحصان بقوّة. عرف أنّ شيئا ضرب عميقًا في رقبته، وأنّه قد أمسك في تلك اللحظة بالذات عرف حصانه. لابدّ أن يكون الحصان قد جُرح أيضًا. بينما كان "زياو ار" يتخبّط على مقدمة سرجه. صهل الحصان بصوتٍ عالٍ، راميًا خطمه نحو السماء، مندفعًا بين خليط عظيم من حلفاء وأعداء، بادئًا هرولة مباشرة عبر حقل قمح، امتدّ على طول المدى. ربّما انطلقت بضع طلقات من ورائه، لكنها بدت بالنسبة لـ"زياو ار"، كما لو في حلم.

انحنت سيقان قمح بطول إنسان، داسها الحصان أثناء هرولته الشرسة، فتمايلت مثل موجة، معاودة الارتفاع كي تزيح ضفيرة "زياو ار"، أو تصفع زيّه الرسمي، أو تمسح دمًا أسود متدفقًا من رقبته. لم يكن لديه حضور ذهني ليلاحظ. لم يسر إلى ذهنه أيّ شيء بوضوح مؤلم سوى حقيقة بسيطة، هي أنّ رأسه قُطع. "لقد طُعنت. طُعنت". كرر ذهنه هذه الكلمات مرارًا وتكرارًا، بينما زغد كعبا حذائه خاصرتي الحصان، بشكل ميكانيكي.

* * *

قبل عشر دقائق، عبر النهر من المعسكر، هو وزميل من سلاح الفرسان الصيني، لاستكشاف قرية صغيرة، حين صادفا فجأة جماعة من سلاح الفرسان الياباني في حقل القمح الأصفر. حدث الأمر بسرعة، لدرجة أنّه لم يكن لدى أيّ من الطرفين الفرصة لإطلاق رصاصة واحدة. وفي اللحظة التي رأى فيها زميلا القوة الصينية قوّات العدو، ذات القبعات المخططة الحمراء، والأزياء المضلعة الحمراء، سحبا سيفيهما، دافعين حصانيهما مباشرةً باتجاههم. لم يكن أيّ منهما، في تلك اللحظة بالطبع، يفكر في أنّه قد يقتل. كان الشيء الوحيد في ذهنيهما، هو: قتل العدو. بينما أدارا رأسي حصانيهما، عرّيا أسنانهما مثل كلبين، وهاجما القوات اليابانية بشراسة. كانت قوّات العدوّ أيضًا محكومة بنفس الإيقاع، رغم أنّ الصينيين وجدا نفسيهما في لحظة محاطَيْن بوجوه بدت كما لو كانت صورًا مطابقة لوجهيهما ذاتهما، بنفس أسنانهما العارية. وجاءت أصوات السيوف سويًّا مع الوجوه، وهي تئزّ في الهواء المحيط بهما.

منذ تلك اللحظة، لم يعد لـ"زياو ار" حسّ واضح بالزمن. كانت لديه ذكرى حيّة واضحة عن قمحٍ طويل يتمايل كما لو وسط عاصفة عاتية، وشمس نحاسية معلقة فوق سنابل قمح متمايلة. كم من الوقت دام الاضطراب؟ ماذا حدث خلال تلك الفترة؟ وبأيّ نظام؟.. لم يكن أيّ من ذلك واضحًا. استمر "زياو ار"، في تلك اللحظة، ضاربًا بسيفه بعنف، صارخًا مثل مجنون، مخرجًا أصواتًا لا يستطيع هو نفسه أن يفهمها. تحوّل سيفه إلى اللون الأحمر. عند تلك البقعة، بدا أنّه يعاد إلى الحياة، لكنه لم يشعر

بأيّ تأثير. وكلما ضرب بسيفه أكثر، كلما تنامى عرقه الوافر من مقبض سيفه المشمعّ. شعر فمه بجفاف غريب. ظهر، في نفس الوقت، وجه ياباني مسعور من سلاح الفرسان، وقد بزغت مقلتا عينيه من رأسه، مع فم مجهد مفتوح، انقض على مسار حصان "زياو ار". التمع غلاف فروة رأس الرجل من شقّ في قبعته الحمراء المخططة. عندما شاهده "زياو ار" رفع سيفه، وضرب بقوة على القبعة. لم تكن القبعة هي ما ضربها السيف، ولا الرأس تحته، بل بالأحرى كان درعًا هائلًا من الصلب مرفوعًا لأعلى، وسط الضوضاء المحيطة. ارتفع دويّ التحام المعدنين بصوت مرعب، جالبًا رائحة باردة لحديد ملوث إلى الخياشيم. انعكس، عندئذٍ فقط، وهج الشمس، وارتفع سيف عريض مباشرةً فوق رأس "زياو ار"، هابطًا في قوسٍ عظيم إلى أسفل. في تلك اللحظة، اندفعت برودة لا يمكن وصفها إلى قاعدة رقبته.

* * *

استمرّ الحصان في الهجوم عبر حقل القمح مع "زياو ار" على ظهره، وهو يئنّ من ألم جرحه. لم ينفرج القمح المزروع بكثافة أبدًا، كما بدا، مهما استمر الحصان في ركضه. خفتت، منذ وقت طويل، ضوضاء الرجال والخيول واشتباكات السيوف. أشرقت شمس الخريف على "لياودونج"، مثلما كانت تفعل في اليابان.

مرّة أخرى، كان "زياو ار" يتمايل فوق ظهر حصانه، وهو يئنّ من ألم جرحه.. مع ذلك، كان الصوت، الذي هرب من بين أسنانه المصرورة

بحزم، أكثر من مجرّد آهة: لقد حمل معنى أكثر تعقيدًا، ليس مجرّد تأوّه بسيط من ألم طبيعي، فقد كان ينوح، بسبب من ألم نفسي، بسبب انحسار الدوار، وتدفق مشاعر متمركزة على خوفٍ من الموت.

شعر بحزنٍ لا يطاق، أن يترك هذا العالم إلى الأبد. كما أحسّ باستياء عميق نحو الرجال والأحداث، التي كانت تعجّل بمغادرته. كان غاضبًا، أيضًا، من نفسه، لأنّه سمح لذلك أن يحدث. وبعد ذلك، جاءت مشاعر مركّبة لتعذبه، كلّ واحد يستدعي آخر.. بينما كلّ منها يفسح المجال لغيرها، حتى كاد يصيح "إني أموت! إني أموت!"، أو أن يستنجد بأبيه وأمه، أو يلعن سلاح الفرسان الياباني، الذي سبب له كلّ ذلك. بينما كانت أيّة صيحة تغادر شفتيه، تتحوّل على أيّة حال، إلى آهة مزعجة، بلا معنى. كم أصبح شديد الضعف.

أنا الرجل الأسوأ حظًّا بين الأحياء، أجيء إلى مكان مثل هذا لأموت شابًا، مقتولًا مثل كلب، دون مقابل. أكره اليابانيين الذين جرحوني. أكره ضابطي المباشر، الذي أرسلني خارجًا في مهمة الاستطلاع هذه. أكره البلدين، اللذين بدآ هذه الحرب.. اليابان والصين. وليس ذلك هو فقط، هو كلّ ما أكره. إنّ أي فرد كانت له علاقة بجعلي جنديًا، هو عدوّي. بسبب كلّ هؤلاء الناس، يتحتّم عليّ الآن أن أغادر هذا العالم، رغم أنّ هناك كثيرًا جدًّا من أشياءٍ أودّ القيام بعملها. آه، كم كنت غبيًّا حين تركتهم يفعلون ذلك بي!



قبض "زياو ار" على الحصان، منشغلًا بتأوهات لها مثل هذا المعنى، بينما كان مقيّدًا باستمرار بين حقل القمح. قد تهيّج مجموعة من طيور السمان الحصان، مباغتة الحيوان بقوة ما بين آونة وأخرى من فروته التحتية. لكن الحصان لم يكن يعيرها أيّ اهتمام. لم يكن مكترثًا أيضًا، بأنّ راكبه بدا في أغلب الأحيان جاهزًا للانزلاق بعيدًا عن ظهره، مندفعًا للأمام، مرغوّ الفم.

هل سمح القدر لـ"زياو ار" أن يستمرّ بالتأرجح ذهابًا وإيابًا على ظهر الحصان طوال النهار، ناعيًا سوء حظّه للسماوات، حتى غاصت تلك الشمس النحاسية في السماء الغربية. لكن حين انفتح تيار طيني متدفق بين سيقان القمح في اتساع لامع أمامه، حيث بدأ السهل يتصاعد منحدرًا بلطف، اتخذ القدر شكل صفصافتين نهريتين أو ثلاث واقفة بشكل ملكي على الضفة. ما تزال فروعها المنخفضة مثقلة بأوراق على وشك أن تسقط. وعندما عبر حصان "زياو ار" بين الأشجار، رفعته فجأة على فروعها ذات الأوراق، ورمت به مقلوبًا في طين الضفّة الناعم.

في تلك اللحظة بالذات، رأى "زياو ار" نيرانًا صفراء ملتهبة تحترق في المساء، عبر بعض ومضات مترابطة. كانت هي نفس نيران اللهب الصفراء، التي اعتاد أن يراها تحترق تحت موقد مطبخ بيت طفولته. آه، فكّر بأنّ النار تتوهج، لكن في لحظة تالية، كان قد فقد الوعي فعلًا.

(2)

هل كان "زياو ار" فاقدًا للوعي تمامًا بعد أن سقط عن حصانه؟ أحقًا، كان ألم جرحه قد اختفى تقريبًا؟ لكنه عرف أنّه كان راقدًا على ضفة نهر

مهجورة، ملطخًا بالطين والدم، ناظرًا لأعلى من خلال أوراق الصفصاف، وهي تداعب القبّة الزرقاء الغامقة للسماء. كانت هذه السماء أكثر عمقًا وزرقة عن أيّة مرّة رآها فيها من قبل. شعر، وهو راقد على ظهره، كما لو أنّه ينظر إلى أعلى، إلى زهرية نيلية اللون، عملاقة، معكوسة. بدت في قاع الزهرية، غيوم مثل رغوة متجمعة قد تنبثق من لا مكان، ثم تخبو ببطء، وهي تتفرق بهدوء بواسطة أوراق الصفصاف دائمة الحركة.

هل كان "زياو ار"، إذن، فاقد الوعي تمامًا؟ مرّ بين عينيه والسماء الزرقاء عدد كبير من أشياء تشبه ظلالًا، لم تكن حقيقةً هناك. رأى أولًا مئزر أمّه المتسخ قليلًا. كم تعلق، أثناء طفولته بذلك المئزر، في أغلب الأحيان، في كلتا الأوقات السعيدة والحزينة. امتدت يده الآن لتمسك به، لكنه تلاشى عن الأنظار، في تلك اللحظة، متحوّلًا أولًا إلى قماشٍ رقيق، ومن ورائه، كما لو من خلال طبقة شفافة، أمكنه أن يرى سحابة بيضاء.

ثم جاء حقل سمسم كان وراء البيت الذي وُلد فيه.. منزلقًا من هناك عبر السماء.. حقل سمسم في منتصف الصيف، حين تتفتح أزهار صغيرة حزينة، كما لو أنها تنتظر الشمس لتبزغ. بحث "زياو ار" عن صورة لنفسه، أو لإخوته الواقفين بين نباتات السمسم، لكن لم تكن هناك أيّة إشارة لأيّ شيء بشري، مجرّد مزيج من زهور شاحبة هادئة وأوراق مستحمة في نور الشمس الشاحب. انطلق الحقل قطريًا عبر الفضاء أعلاه، وتلاشى، كما لو أنّه ارتفع وابتعد.

ثم جاء شيء غريب منزلقًا عبر السماء من أحد فوانيس التنين الطويلة تلك، التي يحملونها عبر الطرقات في ليلة مهرجان الفانوس. كان مصنوعًا من ورق رقيق ملصوقًا في إطار خيزران بطول ثلاثين قدمًا كاملة، مدهونًا بالأحمر والأخضر المبهرج، وهو يشبه التنين تمامًا، الذي قد تراه في صورة. برز بوضوح أمام سماء نهارية، مضاءة بواسطة شموع. غريبًا ما زال، وإن بدا حيًّا، وشعره الطويل يتماوج بحريّة. ما زال "زياو ار" يستوعب ما يجري، حتى سبح التنين متلاشيًا بسرعة، بعيدًا عن مجال رؤيته.

حالما اختفي التنين، حلّ محله قدم محددة لامرأة. قدم مربوطة، لم يتجاوز طولها ثلاث بوصات. ظهر برفق وهدوء ظفر ضارب إلى البياض من لحم أصبع قدمها المقوّس بشكل رشيق. كانت هناك، في قلب "زياو ار" ذكريات تلك المرّة، التي رأى فيها القدم، التي جلبت لهم حزنًا بعيدًا مبهمًا، مثل ألم ضئيل في حلم. لو أمكنه فقط أن يلمس تلك القدم ثانيةً.. لكن لا، لن يحدث ذلك أبدًا. تفصل مئات الأميال هذا المكان، عن المكان الذي رأى فيه تلك القدم. وبينما هو مشغول باستحالة لمسها مرّة أخرى، تنامت القدم جليًّة واضحة، حتى انسحبت بين الغيوم.

تغلبت على "زياو ار"، في تلك اللحظة، وحدة غامضة، لم يسبق أن عركها من قبل. تعلقت السماء الزرقاء الواسعة فوقه في صمت. لم يكن للبشر أيّ خيار، سوى أن يستمروا في حياتهم المثيرة للشفقة تحت تلك السماء، محاصرين بالرياح، التي تهبّ من أعلى لأسفل. يا لها من وحدة! كم

هو غريب، فكّر، بأنّه لم يسبق له أن عرف مثل هذه الوحدة أبدًا حتى الآن. أصدر "زياو ار" تنهيدة طويلة.

احتشد أفراد سلاح الفرسان الياباني، في نفس الوقت، بقبعاتهم الحمراء، مهاجمين بين عينيه والسماء، متحرّكين بسرعة أعظم كثيرًا من أيّ من الصور السابقة، ومختفين بنفس السرعة. آه، نعم، لابد أن أولئك الفرسان يشعرون بوحدة عظيمة كوحدتي. ألم تكن تلك مجرّد أشباح، تمنى أن يريحها، وأن يرتاح بها، حتى ينسى وحدته، ولو فقط لوهلة. لكن كان ذلك الآن متأخّرًا تمامًا.

فاضت عينا "زياو ار" بالدموع. وعندما تطلع إلى الوراء إلى حياته، بتلكما العينين المخضلتين بالدموع، تعرّف إلى كلّ ذلك القبح الكثير، الذي ملأها تمامًا. أراد أن يعتذر إلى أيّ شخص، وأراد أيضًا أن يسامح أيّ فرد، عمّا فعلوه به.

أقسم أنني لو أفلتّ من الموت اليوم، أن أعمل مهما كلفني الأمر، للتعويض عمّا مضى.

بكى "زياو ار"، بينما كانت تتشكل في قلبه تلك الكلمات. لكن، كما لو، دون رغبة في الإنصات، بدأت السماء بكلّ عمقها اللامتناهي، وكلّ زرقتها اللامتناهية، في الضغط عليه، حيث يرقد، قدمًا بقدم، بوصة وراء أخرى. بزغت نقاط شاحبة فوّارة في الامتداد الأزرق الواسع، كانت بالتأكيد نجومًا مرئية في وضح النهار. لم يعد يرى صورًا غامضة تعبر أمامه، أكثر من ذلك.

تنهّد "زياو ار" مرّة أخرى، شاعرًا بارتعاشه مفاجئة في شفتيه، وفي النهاية، ترك جفني عينيه ينغلقان ببطء.

(3)

مرّت سنة منذ توقيع معاهدة السلام بين الصين واليابان. جلس الرائد "كيميرا"، الملحق العسكري بالمفوضية اليابانية في "بيجين"، ذات صباح في أوائل الربيع، إلى مائدة في مكتب المفوضية، مع الدكتور "ياماكارا"، التقنّي في مهمّة رسمية للتفتيش من قِبل وزارة الزراعة والتجارة في طوكيو. كانا يستمتعان بمحادثة هادئة مع القهوة والسيجار، أثناء انحراف مؤقت عن ضغط واجباتهما. كانت النار تشتعل في الموقد، على الرغم من الفصل، وأصبحت الحجرة دافئة بما فيه الكفاية لدرجة تسبب التعرّق. بينما انبعث عطر صيني متميّز في الهواء، ما بين وهلة وأخرى، من ثمرة برقوق حمراء في إناء على المنضدة.

تركّزت محاورتهما لوهلة على إمبراطورة الصين الأرملة، لكنها اتجهت في النهاية إلى تذكّر الحرب الصينية اليابانية، وعند لحظة معينة، نهض الرائد كيميرا واقفًا فجأة، وأحضر نسخة ملفوفة من صحيفة صينية من رفّ في الركن، فتحها على المائدة أمام دكتور "ياماكاوا"، مشيرًا إلى صفحة معينة، مع نظرة من عينيه تقول "اقرأ هذا!". بوغت الدكتور ياماكارا من هذه الإشارة المفاجئة، لكنّه كان قد عرف منذ مدّة طويلة أن الرائد كيميرا رجل محنك، وذكي إلى حدّ بعيد، أكثر منه رجل عسكري مثالي، وتوقع أن يجد

حكاية غريبة تتعلق بالحرب. ولم يخب أمله. أوضحت المقالة من بين صفوف كلمات مربعها الصيني:

"رجل يدعى "هي زياو ار"، مالك محلّ حلاقة في شارع..، خدم بامتياز عظيم في الحرب الصينية اليابانية، ونوّه بأفعال عديدة له تدلّ على الشجاعة. وبعد عودته المظفرة إلى الوطن، مال مع ذلك إلى الانغماس في سلوك شائن، مفسدًا نفسه بالشراب والنساء. كان يتجادل مع رفقائه السكارى، في حانة اكس ذات يوم، عندما اندلع شجار، ونتيجة لإصاباته من جرح رقبة حاد، مات فورًا. كان الشيء الأغرب هو أن جرح الرقبة، لم يصب بسلاح أثناء الحادث، بل بالأحرى أعيد فتح الجرح، الذي سبق أن عانى منه "زياو ار" في ساحة المعركة. طبقًا لشاهد عيان، انقلبت مائدة، وسقط الضحية معها. سقط رأسه، في اللحظة التي ارتطم فيها بالأرضية، وإن ظل مرتبطًا بشريط من الجلد، ناثرًا دماءً في كلّ مكان. يقال إنّ السلطات لديها شكوك قويّة حول حقيقة هذا الحادث، وإنّها تنشغل بتقرير تحقيق عن الحادث المرتكب، لكن منذ صدور كتاب "حكايات غريبة عن ليوازهي"، التي تضمنت حكاية رأس الرجل الذي سقط، هل يمكننا القول على وجه اليقين، إنّ مثل هذا الشيء لم يحدث لشخص ما مثل "هي زياو ار"؟

كان هناك تعبير بالصدمة على وجه الدكتور "ياماكارا". وحين انتهى من قراءة المقال، تساءل:

– ما هذا؟

أخرج الرائد كيميرا نفسًا طويلًا بطيئًا من دخان السيجار، مع ابتسامة يانعة، وهو يقول:

- مذهل، ألا تعتقد ذلك؟ إنّ شيئًا كهذا يمكن أن يحدث في الصين فقط.

أجاب دكتور ياماكارا، وهو يفرغ رماد سيجاره الطويل في منفضة السجائر:

- صحيح. وببساطة يستحيل التفكير به في أيّ مكان آخر.

استطرد الرائد كيميرا، مع تعبير متجهّم على وجهه:

- مع ذلك، فما زال هناك الكثير من القصة، لأنني أعرف الرفيق "زياو ار".

- أتعرفه؟ آه، توقف. لا تقل لي إنّ ملحقًا عسكريًا سيبدأ الكذب بالتوازي مع مراسل صحفي.

- لا، بطبيعة الحال، لن أفعل أيّ شيء غبي. لكن حين رجعت جريحًا من معركة قرية..، كان "زياو ار" يعالج في مستشفانا الميداني. تحدّثت معه عدّة مرات كي أدرّب لغتي الصينية. كان لديه جرح رقبة، لذا فإنّ الفرصة قد تكون بنسبة 8 أو 9 من 10، في أن يكون هو نفس الرجل. أخبرني أنّه كان في مهمّة استطلاع، حين التقى مصادفة ببعض من فرساننا، وأصيب بقطع في الرقبة.

- يا لها من صدفة غريبة. تقول الجريدة، مع ذلك، فقد كان مثير شغب حقيقي. ربّما نصبح جميعًا في حال أفضل، لو أنّ هذا الزميل مات فورًا في موضعه.

- نعم، لكن في ذلك الوقت، كان رجلًا صادقًا، طيبًا. واحدًا من أفضل أسرى الحرب، الذين أحسنوا التصرّف. بدا أنّ كلّ أطباء الجيش قد أحسنوا معاملته، ومنحوه علاجًا أكثر من جيّد. استمتعت بالقصص التي حكاها عن نفسه أيضًا. أتذكّر بشكل خاص الأسلوب، الذي وصف به مشاعره، حين جُرح بشكل سيّء في الرقبة، وسقط عن حصانه. كان راقدًا في الطين على ضفة نهر، ناظرًا إلى السماء من خلال أشجار الصفصاف، حين رأى مئزر أمه، وقدم امرأة حافية، وحقل سمسم مزدهرًا.. كلّ ذلك، كان هناك في السماء.

رمى الرائد سيجاره بعيدًا، وقرّب كأس قهوته إلى شفتيه، مانحًا نظرة جانبية إلى حبّة البرقوق الحمراء على المائدة، واستطرد كما لو أنه يتحدّث إلى نفسه:

- حين رأى تلك الأشياء في السماء، بدأ يشعر بخزي عميق من الأسلوب، الذي عاش به حياته حتى ذلك الحين.

- لذلك تحوّل إلى مثير للشغب بمجرد انتهاء الحرب؟ وهو ما يبرهن فقط على أنه لا يمكنك أن تثق بأيّ شخص.

أراح الدكتور ياماكارا رأسه على ظهر المقعد، مادًّا ساقيه، نافثًا دخان سيجاره بشكل وافر نحو السقف.

- لا يجب الثقة بأيّ شخص؟ يعني، أنّك تعتقد، أنّه كان يتظاهر؟

- بالطبع، كان كذلك.

- لا، أنا لا أظن ذلك. أعتقد أنّه كان جادًّا حول الأسلوب الذي شعر به، على الأقلّ في ذلك الوقت. وسأراهن أنّه شعر بنفس الأسلوب ثانيةً في اللحظة، التي "سقط فيها رأسه"، (مستخدمًا تعبير الجريدة). ها أنا أتخيّل أيضًا، كيف حدث ذلك: كان مخمورًا حين كان يقاتل، لذلك لم يجد الرجل الآخر مشقة في طرحه أرضًا. حين حطّ على الأرض، انفتح الجرح، وتدحرج رأسه على الأرضية منطويًا في ضفيرته المتدلية الطويلة. مرّت، في هذه المرة أيضًا، نفس الأشياء ثانيةً أمام عينيه: مئزر أمه، قدم المرأة الحافية، حقل السمسم المزدهر. وربّما لو كان هناك سقف أمامه، لربّما رأى سماءً زرقاء عميقة بعيدًا فوق رأسه. مرّة أخرى، شعر بالخزي من حياته، حتى تلك اللحظة. لكن، هذه المرّة، كان الوقت متأخرًا جدًّا. في المرّة الأولى، وجده رجل الهيئة الطبية اليابانية فاقدًا الوعي، واعتنى به. هذه المرّة، استمرّ الرجل يرفسه، ويضربه، حتى مات، مليئًا بالأسف.

اهتزّ دكتور ياماكاوا بضحكة:

- يا لك من حالم! إذا كان ما تقوله صحيحًا، لماذا ترك نفسه يصبح مثيرًا للشغب، بعد المرّة الأولى؟

- ذلك بسبب، أنّ الأمر تمّ بأسلوب مختلف عمّا عنيت بقولك إنّك لا تستطيع أن تثق بأيّ شخص.

أشعل الرائد كيميرا سيجارًا جديدًا، وابتسم، واستطرد بنغمة جذلة، مبتهجة تقريبًا:

- من المهم - بل من الضروري حتى - بالنسبة لنا، أن نصبح مدركين فعلًا حقيقة أننا لا نستطيع أن نثق بأنفسنا. الأشخاص الوحيدون، الذين يمكنك أن تثق بهم إلى مدى معيّن، هم بشر يعرفون ذلك حقًّا. من الأفضل أن تعرف هذا مباشرةً. وإلاّ، فإن رؤوس شخصياتنا ذاتها قد تسقط في أيّ وقت، مثل "زياو ار". هذا هو الأسلوب، الذي ينبغي أن تقرأ به كلّ الجرائد الصينية.

من يدري؟

إلهي! يا إلهي! سأمضي أخيرًا كي أكتب ما حدث لي. لكن كيف يمكنني ذلك؟ كيف أجرؤ؟ إنَّ الأمر شديد الغرابة، غير مفهوم تمامًا.

لو لم أكن متأكّدًا تمامًا ممّا شاهدته، متيقنًا أنه لا يوجد أيّ خلل في المنطق، أيّ خطأ فيما أعلنت، أيّة ثغرة في التسلسل الجامد لملاحظاتي، فأعتقد أنني ينبغي أن أصدقّ أمر نفسي كي أكون مخدوعًا من هلوسة بسيطة، ورطة رؤية فريدة. ورغم كلّ شيء، من يدري؟

كنت بالأمس في ملجأ خاص، ذهبت إليه طوعًا بعيدًا عن الحياء والخوف. هناك إنسان واحد فقط يعرف تاريخي، وذلك هو طبيب ما يسمى بالملجأ المذكور. سأمضي للكتابة إليه. لكنني لا أعرف السبب حقًا؟ هل أفعل ذلك كي أتخلص من كل ما يعيق نفسي؟ نعم، فأنا أشعر كما لو أني مثقل بكابوس لا يطاق.

اسمحوا لي أن أشرح.

لقد كنت دائمًا متوحّدًا، حالـمًا، نوعًا من فيلسوفٍ معزول يسهل مجاراته، راضيًا بالقليل، مخفيًا أيّة مشاعر سيئة ضد أيّ إنسان، أو حتى أيّة ضغينة ضدّ السماء. لقد عشت دائمًا وحدي، وبالتالي يمسك بخناقي نوع من

تعذيب ذاتي عندما أجد نفسي في حضرة آخرين. كيف يمكن شرح ذلك؟ لا أدري. أنا لست ضد أن أخرج إلى العالم للتحاور، لتناول طعام مع أصدقاء، لكن عندما يقتربون منّي لأيّة فترة من الزمن، حتى بالنسبة للأكثر حميمية منهم، فإنهم يثيرون مللي، يتعبونني، يوهنونني، فأعاني تجربة ساحقة، رغبة معذبة في أن أراهم ينهضون وينصرفون بعيدًا، كي يدعوني وحدي.

تلك الرغبة ليست فقط مجرّد شغف، بل هي ضرورة لا تقاوم. وإذا كان لابد أن يستمرّ وجود أولئك البشر الذين أجد نفسي بينهم، وإذا ما كنت مضطرًا ليس فقط للإنصات لحديثهم، ولكن للمتابعة أيضًا، لأيّة مدة من الزمن، فإنّ حدثًا خطيرًا سيحلّ بالتأكيد. أي نوع من الحوادث؟ آه، من يدري؟ ربما سكتة دماغية طفيفة تعجز عن الحركة؟ من المحتمل!

إنني أحبّ العزلة كثيرًا لدرجة أنني لا أستطيع تحمّل جوار الكائنات الأخرى التي تنام تحت نفس السقف. لا أستطيع الحياة في باريس، لأنني أعاني هناك من عذابٍ حاد. إنني أعيش حياة أخلاقية، لذلك أعذب جسمي وأعصابي من ذلك الحشد الهائل الذي ينسرب ويعيش حتى أثناء النوم. آه، يعتبر نوم الآخرين أكثر إيلامًا ما زال مقارنةً بحديثهم، ولا يمكن أبدًا أن أجد راحة عندما أعرف وأشعر أنّ هناك على الجانب الآخر وجودًا متعددًا شاهدًا على خسوف ذلك العقل العادي.

لماذا أنا هكذا؟ من يدري؟ ربّما سبب ذلك بسيط جدًّا. إنني سرعان ما أشعر بالتعب من كلّ ما لا ينبع مني. وهناك كثير من البشر في حالة مماثلة.

نحن، على الأرض، جنسان متميّزان. أولئك الذين لديهم حاجة للآخرين، الذين يروق لهم الآخرون، يشاركونهم مهدئين، أولئك الذين تضايقهم العزلة، الآلام، والذهول، مثل حركة إحدى الكتل الجليدية الرهيبة، أو عبور الصحراء، وأولئك، الذين هم على عكس ذلك، الذين يضجرهم الآخرون، يتعبونهم، يثيرون مللهم، يعذبونهم في صمت، الذين تسعدهم العزلة ويرتاحون في حمامات استقلالهم، ويغرقون في مزاجات أفكارهم الخاصة. على الإجمال، هناك ظاهرة فيزيائية طبيعية. يعيش البعض حياةً خارج أنفسهم، وآخرون يعيشون مع أنفسهم. أما بالنسبة لي، فإنّ صلاتي الخارجية لم تدم طويلًا فجأة وبشكل مؤلم، وبينما كانت تصل إلى حدودها القصوى، أواجه في جسمي وذكائي كله عدم ارتياح لا يطاق.

نتيجة لذلك أصبحت متعلقًا، أو أصبحت بالأحرى مرتبطًا بكائنات غير حيّة، صار لها بالنسبة لي أهمية الكائنات، فأصبح في منزلي عالـمًا عشت فيه حياة نشطة انفرادية، محاطًا بكلّ أنواع تلك الأشياء، أثاث، تحف زهيدة مألوفة، متعاطفًا بعيني لمحيا الكائنات البشرية. هكذا ملأت محلّ إقامتي، شيئًا فشيئًا. كنت قد زينته بها، وشعرت بالرضا والسعادة لمحتواها الداخلي، أكثر سعادة عمّا لو كنت بين أحضان فتاة حبيبة أصبحت مداعباتها مهدئة وضرورة مبهجة.

شيّدت هذا البيت وسط حديقة جميلة، أخفيته عن الطرق الرئيسية العامة، التي كانت قرب مدخل مدينة حيث يمكنني أن أجد، في بعض الأحيان، موارد المجتمع التي كنت أشتاق إليها في لحظات. ينام كل ما لديّ

من خدم في مبنى منفصل، يقع على مسافة معتبرة من بيتي، عند النهاية البعيدة لمطبخ الحديقة، الذي كان بدوره محاطًا بسورٍ عالٍ. كما دفن غموض محيط الليل في صمت سكني الخفي، تحت أوراق أشجار عظيمة. كان سكني هادئًا جدًّا، ممتعًا تمامًا، وذلك قبل أن أتقاعد على أريكة أبقى عليها عدّة ساعات من أجل التمتع بالعزلة لفترة أطول قليلًا.

عُرضت مسرحية "سجناد Signad" ذات ليلة على أحد مسارح المدينة. كانت تلك هي المرّة الأولى التي أنصت فيها لمثل جمال وموسيقى تلك الدراما الخيالية التي استمديت منها ملذات حيويّة.

عدت إلى المنزل سيرًا على الأقدام بخطوات خفيفة، وقد امتلأ رأسي بعبارات رنانة، وسكنت عقلي رؤى مبهجة. كان الوقت ليلًا، شديد الظلمة تحت جنح الظلام، لدرجة أنني لم أتمكن إلا بصعوبة من تمييز الطريق السريع العريض الواسع، وبالتالي تعثرت في خندق على جانب الطريق أكثر من مرّة. اقتربت من منزل العاملين عند الحدود في الطريق إلى منزلي. كانت المسافة حوالي ميل، أو ربّما أكثر قليلًا، ويمكن تمشيتها على مهل في حوالي عشرين دقيقة. كانت الساعة الواحدة صباحًا، الواحدة تمامًا وربما الواحدة والنصف. كانت السماء صافية نوعًا ما بحلول ذلك الوقت، وظهر الهلال، هلال قاتم للربع الأخير من القمر. كان هلال الربع الأول يبدو واضحًا في الخامسة أو السادسة ليلًا، بارزًا بشكلٍ فضي، لكن الهلال الذي يظهر بعد منتصف الليل يكون أحمر، حزينًا، مقفرًا، وهو صحيح هلال يوم الراحة. وقد توصّل كلّ من يطوف ليلًا لنفس الملاحظة. الأول، خافت مثل خيط،

يلقي ضوءًا خافتًا بهيجًا يُفرح القلب، ويخطط الأرض بظلال متميّزة، ويلقي بصيصًا من ضوء لا تكاد مشاركته تموت، بحيث لا يكاد الشحوب في تلك المناسبات ينتج أيّة ظلال.

رأيت على المدى كتلة معتمة من حديقتي، دون أن أعرف لماذا سيطر عليّ شعور من عدم ارتياح لفكرة الولوج إلى الداخل. أبطأت خطوتي، ومشيت بهدوء، وكان لكتلة سميكة من أشجار مظهر مقبرة دُفن فيها بيتي.

فتحت بوابتي الخارجية، ودخلت إلى ممرّ طويل من أشجار الجميز يمضي في اتجاه المنزل، مشكلًا مدفنًا عائليًا حكيمًا يشبه نفقًا عاليًا، تعبره جماهير مبهمة، وقد لفّت مروج العشب على سلالٍ من زهور، في الظلام الواهن الذي يمكن ملاحظته بشكلٍ مبهم.

اجتاحني شعور غريب عند الاقتراب من المنزل، وقفت ثابتًا، لم أكن أسمع شيئًا. ولم أسمع هناك من خلال الأشجار ولو مجرّد نفثة من هواء متحرّك. "ماذا يحدث لي؟" قلت لنفسي. كنت قد دخلت وخرجت من نفس الطريق لمدة عشر سنوات، دون أن ينتابني في أيّ وقت مضى أيّة لمحة تساؤل. لم يكن لديّ أيّ خوف من الليالي. قد تجتاحني نوبة غضب عند رؤية رجل، لص، قاتل، فأندفع إليه دون أيّ تردد. وعلاوة على ذلك، كنت مسلحًا، لديّ مسدسي، لكني لم ألمسه؛ لأنني كنت حريصًا على مقاومة شعور الرهبة الذي استولى عليّ.

ماذا كان ذلك؟ هل كان حسًا، حسًا غامضًا يُمسك بحواس الرجال الذين حدسوا شيئًا، كان بالنسبة لهم لا يمكن تفسيره؟ ربّما؟ من يدري؟

بينما كنت أتقدّم باتساق مع ما يجري، شعرت أن جلدي يرتجف أكثر وأكثر، وعندما أصبحت على مقربة من الجدار بالقرب من مقر إقامتي في محل سكني الكبير، شعرت أنّ من الضروري بالنسبة لي أن أنتظر بضع دقائق قبل أن أفتح الباب وأدخل. جلست، بعد ذلك، على مقعد تحت نوافذ غرفة مرسمي. استرحت هناك، مضطربًا قليلًا، مع رأسي متكئًا على الجدار، عيناي مفتوحتان على سعتهما، تحت ظلال أوراق الشجر. لم ألاحظ، في الدقائق القليلة الأولى، أيّ شيء غير عادي من حولي، وإن كان هناك أزيز ضوضاء في أذنيّ، وهو ما كان يحدث في كثير من الأحيان بالنسبة لي. كم بدا لي أحيانًا أنني أسمع صوت قطارات مارّة، أو ساعات تدقّ، لدرجة أنني سمعت كثيرًا منها في تلك المسيرة.

وسرعان ما أصبحت أصوات الطنين تلك أكثر وضوحًا، أكثر تركيزًا، أكثر تحديدًا، كم كنت أخدع نفسي. لم يكن ذلك الوخز العادي في شراييني هو ما أحال تلك الأصوات الهادرة إلى أذنيّ، لكنها كانت واضحة للغاية، على الرغم من خلط وضوضاء جاءا من داخل بيتي دون أدنى شكّ على الإطلاق. ميّزت ذلك الضجيج المستمرّ من خلال الجدران. كم وددت بالأحرى أن أقول «اضطرابًا» بدلًا من «ضوضاء»، حركة غير واضحة لكوم من أشياء، كما لو كان هناك أناس يتقاذفونها، يغيّرون أماكنها، ويحملون بعيدًا خلسةً كلّ ما لديّ من أثاث.

تشككت، مع ذلك، لبعض وقت معتبر في دليل أذنيّ. لكن بمجرّد أن وضعت أذني على واحدة من خوارج تلك البيوت، لاكتشاف كنه ذلك

الاضطراب الغريب وهل يحدث داخل منزلي، فسرعان ما أصبحت مقتنعًا، متأكدًا، من خلال تلك الأصوات أن شيئًا يحدث في مقر إقامتي، كان في مجمله غير طبيعي وغير مفهوم تمامًا. لم يكن لديّ أيّ خوف، لكني كنت - كيف أعبّر عن ذلك - مشلولًا من الدهشة. لم أسحب مسدسي، لعلمي جيّدًا أنّه ليست هناك حاجة للقيام بذلك.

أنصتّ لفترة طويلة، لكني لم أتمكّن من الوصول إلى أيّ حلّ؛ نظرًا لكون عقلي صافٍ تمامًا، رغم أني كنت حريصًا في نفسي بشكل طبيعي. نهضت، وانتظرت منصتًا دائمًا إلى الضوضاء التي ازدادت تدريجيًا ونمت على فترات، ليصبح صوتها شديد الارتفاع، حتى بدا أنها أصبحت غير صبورة، غاضبة، متزعجة، من ضجة غامضة.

ثم، فجأة، خجلًا من جبني، أمسكت حلقة مجموعة المفاتيح. اخترت مفتاحًا معيّنًا، أودعته بالقفل، أدرته مرتين، دافعًا الباب بكلّ ما أوتيت من قوة، مرسلًا إيّاه مجلجلًا أمام الجدار الداخلي.

بدا الاصطدام مثل طلقة بندقية، وهناك جرت إجابة على تلك الضوضاء المتفجرة، من السقف إلى الطابق السفلي لمقرّ إقامتي. جرت اضطرابات هائلة، كانت مفاجئة جدًّا، فظيعة تمامًا، مصمّة للآذان لدرجة أن ارتددت للوراء عدّة خطوات. ورغم أنني عرفت أنها ستكون حركة عديمة الجدوى تمامًا، فقد سحبت مسدسي من جرابه.

واصلت الإنصات لفترة أطول من الوقت. أمكنني أن أميّز الآن نقوشًا استثنائية على السلالم الكبيرة، على الطوابق المشمعة، على السجاد، ليست من

أحذية، أو من أقدام عارية، لكن من آثار أشياء صلبة وعكازات خشبية، دوّت مثل صنج. ثم ميّزت فجأة، على عتبة بابي، كرسيًا بمسندين، ذلك الكرسي الذي كان يسهّل قراءاتي الطويلة، وقد انطلق يتهادى. فرّ من حديقة منزلي. تبعه بعض آخر، من غرفة الرسم الخاصة بي، ثم أرائكي، ساحبة نفسها جنبًا إلى جنب مثل تماسيح على كفوفها الصغيرة، ثم كلّ ما عندي من كراسٍ، قافزة مثل ماعز، ومواطئ ارتكازها الصغيرة قافزة مثل أرانب.

آه! يا له من إحساس! تراجعت مرّة أخرى إلى أجمة شجيرات حيث مكثت مراقبًا أثاثي في الوقت نفسه، وهو يمضي عبر مضيق، يتدفق فيه كلّ شيء بعيدًا، واحدًا وراء الآخر، بخفة أو ببطء، طبقًا لوزنه وحجمه. مضى البيانو الخاص بي يعدو كحصان مطلقًا موسيقى من جانبيه، بينما انسربت الأدوات الأصغر على امتداد الحصى مثل قواقع: فرشاتي، كريستالي، كؤوس وصحون، تلمع في ضوء القمر. رأيت مكتبي يظهر، شدّني إليه فضول نادر من القرن الماضي، وقد تضمن كلّ الرسائل التي تلقيتها في أيّ وقت مضى، كلّ تاريخ قلبي، وهو تاريخ قديم عانيت فيه كثيرًا! كما كان هناك بداخله إلى جانب ذلك، عدد كبير من صورٍ عزيزة.

فجأة لم يعد لديّ أيّ خوف. رميت نفسي عليه، قبضت عليه كما يقبض فرد على لصّ، وكما قد يمسك شخص بزوجة على وشك أن تهرب. لكن تلك الأشياء استمرت في مسارها الذي لا يقاوم، على الرغم من جهودي التي بذلتها، وعلى الرغم من غضبي، لم أستطع أن أؤخر وتيرة خطوها. وبينما كنت أقاوم بيأس تلك القوة التي لا يمكن التغلب عليها، ألقت بي أرضًا،

ثم دحرجتني على طول الحصى، ومشى فوقي بقية أثاثي الذي تبعها، مطوّقًا على ساقيّ، مسببًا جروحًا بهما. وعندما فككت قبضتي، مرّت بقية الأدوات على جسمي، كما يفعل هجوم سلاح فرسان فوق جثة جندي مترجّل.

أخيرًا استولى الرعب عليّ، فنجحت في جرّ نفسي للخروج من الطريق الرئيسي، مخفيًا نفسي مرّة أخرى بين الشجيرات، وذلك لمشاهدة اختفاء أعزّ الأشياء حجمًا وأقلها لفتًا للانتباه، والتي على الأقل كانت غير معروفة، تلك التي كانت تنتمي لي ذات مرّة.

سمعت، بعد ذلك، على طول المدى، ضوضاء جاءت من شقتي، التي بدا صوتها الآن وكأنّ البيت أصبح فارغًا، إضافة إلى ضوضاء عالية من إغلاق الأبواب. كان قد جرى صفقها من قمة إلى قاع سكني، حتى مع الباب الذي كنت قد فتحته للتوّ بشكل لا واعٍ بنفسي، والذي أُغلق من تلقاء نفسه، عندما غادره آخر شيء.

بدأت رحلتي مهرولًا أيضًا نحو المدينة، مستعيدًا فقط عند الوصول إلى الشوارع رباطة جأشي الذاتية، حيث التقيت أخيرًا بالناس. رننت جرس فندق كنت أعرفه. نفضت الغبار عن ملابسي بيديّ، وأخبرت موظف الاستقبال أني فقدت مجموعة مفاتيحي الخاصة، التي تتضمن أيضًا مفتاح مطبخ حديقتي، حيث ينام خدمي في منزل قائم بذاته، على الجانب الآخر من السياج الذي يحمي فواكهي وخضرواتي من اللصوص.

غطيت نفسي لأعلى حتى عينيّ في السرير الذي عُيّن لي، لكني لم أستطع النوم، ظللت متيقظًا حتى الفجر منصتًا إلى خفقات قلبي. كنت قد أعطيت

أوامر بأن يُسْتَدعَى خدمي إلى الفندق عند الفجر، وقد قرع بابي خادم سكني في السابعة تمامًا من الصباح.

حمل وجهه نظرة حزينة، وقال: "لقد حدثت مصيبة أثناء الليل، يا سيدي".

"ما هي؟".

"سرق شخصٌ ما كل أثاث سيدي، كله، كلّ شيء، حتى أصغر الأدوات".

أسرّتني هذه الأخبار. لماذا؟ من يدري؟ أصبحت سيد نفسي الكامل من جديد، مصرًّا في ذات الوقت على الاختفاء، على عدم إخبار أيّ فرد عن أيّ شيء رأيته. مصممًا على إخفاء ودفن السرّ الرهيب في قلبي. عقبت، قائلًا:

"لابد أنهم نفس الأشخاص الذين سرقوا مفاتيحي. ينبغي إبلاغ الشرطة على الفور. سأنهض حالًا، وأنضم إليك خلال لحظات قليلة".

استمرت التحقيقات في الظروف التي قد تكون السرقة تمت فيها لمدّة خمسة شهور. لم يستطيعوا إيجاد أيّ شيء، ولا حتى أصغر التحف الزهيدة، أو على الأقلّ أيّ أثر للصوص، لأنني كنت الشخص الوحيد الذي رأى كلّ شيء منذ البداية.

نعم! لكني كنت أعرف كيفية الحفاظ على الصمت. لن أعيد تأثيث منزلي ثانيةً أبدًا. كان كلّ ذلك عديم الجدوى، في الواقع. سيحدث نفس الشيء مرّة أخرى. لم تعد لديّ أيّة رغبة للعودة لدخول البيت، ولم أعد إلى دخوله، ولم أزره ثانيةً على الإطلاق.

ثم انتقلت إلى باريس، إلى فندق، واستشرت عددًا من الأطباء فيما يتعلق بحالة أعصابي، التي ارتبكت بقدر كبير منذ تلك الليلة الفظيعة. وقد نصحوني بالسفر، فانصعت لنصيحتهم.

* * *

بدأت بالارتحال إلى ايطاليا. وقد أفادتني الشمس المشرقة كثيرًا. تجوّلت لمدة ستة أشهر من جنوا إلى البندقية، من البندقية إلى فلورنسا، ومن فلورنسا إلى روما، ومن روما إلى نابولي. ثم سافرت إلى صقلية. وهي بلدة احتفلت بمشاهدها ومعالمها، من قِبل اليونانيين والنورمان. ثم عبرت منها إلى إفريقيا لأجتاز بسهولة تلك الصحراء الهائلة الصفراء الهادئة، حيث الإبل والغزلان والعرب المشردين يصولون ويجولون، في جوٍّ نادر شفاف. ولم تكن هناك حاجة إلى مطاردات غامضة، حيث لا يوجد هناك أيّ ليل، بل نهار دائم.

عدت إلى فرنسا عن طريق مارسيليا، وعلى الرغم من ابتهاجات "بروفنس"، فإنّ صفاء السماء المتلاشي جعلني حزينًا. كنت قد عانيت أثناء رحلة العودة، إحساسًا غريبًا بالمرض الذي اعتقدت أنني شفيت منه، مع ألم خفيف توقعت أنه بذور المرض التي لم يتمّ القضاء عليها.

عدت بعد ذلك إلى باريس. كنت مكتئبًا جدًّا في نهاية الشهر. جاء الخريف، فصممت قبل حلول الشتاء على أن أقوم برحلة إلى نورماندي، وهي بلدة لم أحط علمًا بها من قبل.

بدأت رحلتي، وأنا في أفضل حالاتي المعنوية، حيث تجوّلت في مدينة "ريون" (عاصمة نورماندي على نهر السين)، تلك المدينة القديمة، لمدة ثمانية أيام بحماسٍ شديد، وشاهدت متحفها المذهل بكلّ ما تضمنه من معالم قوطية استثنائية.

لكن في حوالي الرابعة تمامًا من بعد الظهيرة، بينما كنت أتسكع ببطء في شارع غير جذاب، لفت انتباهي هناك تيار قاتم مثل الحبر الذي يسمى "أو دي روبك"، عندما ثبت نظري للحظة على مظهر عتيق لبعض منازل اجتذبت بصري مكوّنة سلسلة من محلات أثاث مستعمل، تبع كلّ منها الآخر، بابًا وراء باب.

آه! لقد اختاروا موقعهم بعناية، مهربو الآثار الدنيئون هؤلاء، في ذلك الشارع الصغير الغريب، الذي يطلّ على تيار ماء شرير، في ظلّ هذه الأسقف التي ما تزال مستمرّة في دورات الأيام الخوالي.

رأيت في نهاية هذه المخازن القاتمة صدور تماثيل منحوتة متراكمة، معالم فخارية، تماثيل مطليّة، وبعضًا آخر مصنوعًا من البلوط، تماثيل للمسيح، تماثيل للعذراء، حليًّا كنسية، معاطف كهنة، مزهريات مقدّسة، بل وحتى خيمة خشبية قديمة مقدسة. وكانت هناك تجاويف مفردة في تلك المنازل النبيلة مزدحمة بأشياء من كلّ وصف، حيث انتهى زمن وجود تلك الأشياء، أشياء كتبت بقاء حائزيها الأصليين، في قرنهم، في أزمانهم، في أزيائهم الخاصة، من أجل أن تُشتَرى نتيجة فضول من قِبل أجيال جديدة.

استيقظ تأثري للتحف في مدينة الأنتيكات تلك. ذهبت من متجر إلى متجر، عابرًا في خطوات ألواح أربعة جسور فاسدة متخطية التيار المثير للغثيان لـ"أو دي روبك".

كانت السماء تحميني! يا لها من صدمة! إذ في نهاية قبو مزدحم بمواد من كلّ وصف، والذي بدا كمدخل لسراديب مقبرة أثاث قديم، لمحت فجأة واحدة من أجمل خزائن ثيابي. اقتربت منها، ترتجف كلّ أطرافي، ترتجف لدرجة أنني لم أجرؤ على لمسها. وأخيرًا وضعت يدي عليها، ترددت. كانت في الواقع خزانة ملابسي، خزانة ملابس فريدة النوع من زمن لويس الثالث عشر، يمكن التعرّف عليها بسهولة من قِبل أيّ شخص نظر إليها ولو مرّة واحدة فقط.

تفرّست عيناي قليلًا نحو أعماق أكثر تشاؤمًا في المعرض، فأدركت ثلاثة من كراسيّ المغطاة بالنسيج، وأبعد من ذلك كان هناك كرسيان من عصر هنري الثاني، وطاولات، مثل كنوز نادرة يأتي إليها البشر على طول الطريق من باريس لرؤيتها.

فكرا! فكر فقط في أيّة حالة ذهنية كنت فيها الآن! تقدّمت، متلعثمًا، مرتجفًا مشحونًا بالعاطفة. لكني تقدمت، لأنّي جسور. تقدمت مثل فارس من العصور المظلمة.

وجدت في كلّ خطوة شيئًا يخصّني، فرشاتي، كتبي، طاولاتي، حرائري، أسلحتي، كلّ شيء ما عدا المكتب المليء برسائلي، ذلك هو ما لم أتمكن من اكتشافه.

تقدّمت في مسيري هابطًا إلى صالات العرض المظلمة، كي أصعد ثانيةً إلى الطوابق التالية أعلاها. كنت وحدي، ناديت على الموجودين في البيت. لم يجبني أحد. كنت وحدي، لا أحد هناك في ذلك البيت، ذلك البيت الواسع المتعرّج مثل متاهة.

هبط الليل، واضطررت إلى الجلوس في الظلام على واحد من كراسيّ، لأنه لم تكن لديّ رغبة في الانصراف. كنت أصيح من وقتٍ لآخر: "أهلًا وسهلًا.. أهلًا.. هل هناك أحد؟".

كنت قد جلست هناك بالتأكيد أكثر من ساعة، عندما سمعت خطوات، خطوات ليّنة بطيئة، لم أعرف مصدرها. كنت غير قادر على تحديد موقعها، لكنها أسعدتني، فصحت من جديد، عندما رأيت بصيص ضوء في الغرفة التالية.

قال صوت: "مَن هناك؟".

أجبت: "مشترٍ".

"لقد فات أوان الدخول إلى المتجر".

قلت: "كنت في انتظاركم منذ أكثر من ساعة".

"يمكنك أن تعود غدًا".

"لابد من مغادرة ريون غدًا".

كنت قد غامرت، ولم أتقدّم، وهو لم يأت إليّ. رأيت بصيص ضوئه، الذي سطع على النسيج الذي كان مرسومًا عليه اثنان من الملائكة يحلقان فوق الموتى في ميدان معركة. كان ذلك الكرسي يخصّني أيضًا.

قلت: "حسنًا، تعالَ إلى هنا".

أجاب "أنا في خدمتكم".

نهضت وذهبت باتجاهه.

كان واقفًا وسط غرفة كبيرة. كان رجلًا قصيرًا جدًّا، هائل الحجم، سمينًا ظاهريًّا، كظاهرة بشعة.

كان لديه لحية مفردة متناثر شعرها الأبيض والأصفر، ولم يكن هناك أيّ شعر على رأسه، ليس هناك مجرد شعرة!

بينما مدّ الرجل شمعته التي أمسكها عاليًا على مبعدة من وقفته من أجل رؤيتي، ظهرت جمجمته وهي تشبه قمرًا صغيرًا في تلك الحجرة الواسعة المسكونة بالأثاث القديم. كانت التجاعيد تغطي ملامحه، ولم يمكن رؤية عينيه.

اشتريت ثلاثة كراسي تخصّني، ودفعت فيها فورًا مبلغًا كبيرًا، معطيًا إيّاه رقم غرفتي في الفندق بعد أن اتفقنا على أن يجري تسليمها في اليوم التالي قبل تمام الساعة التاسعة.

بدأت بعد ذلك في الانصراف. اصطحبني، بأدبٍ مبالغ فيه، حتى الباب.

مضيت فورًا إلى مكتب مفوّض الشرطة في قسم الشرطة المركزي، وأخبرت المفوّض بعملية السطو التي ارتُكبت معي واكتشافها الذي توصلت إليه. طلب منّي وقتًا للاتصال تلغرافيًّا مع السلطات التي كانت مسئولة فعلًا عن القضية للحصول على معلومات، ورجاني الانتظار في مكتبه حتى يصل الردّ. جاء الردّ بعد ساعة متفقًا مع أقوالي.

قال المفوض: "أنا ذاهب لاعتقال هذا الرجل والتحقيق معه فورًا، لأنه أثار نوعًا من الريبة، وهرّب ما يخصك بعيدًا عن الأنظار. هل يمكنك أن تنصرف الآن لتناول العشاء على أن تعود بعد ساعتين؟ سيكون ذلك الرجل عندئذٍ هنا، وسوف أُخضعه لاستجوابٍ جديد في وجودكم".

"شديد السرور يا مسيو. أشكركم من كلّ قلبي".

ذهبت لتناول العشاء في فندقي، وأكلت بشكل أفضل ممّا ظننت، كنت الآن سعيدًا تمامًا، وأنا أفكر بأنّ ذلك الرجل أصبح الآن بين يدي الشرطة.

بعد ساعتين، رجعت إلى مفوّض الشرطة، الذي كان ينتظرني.

قال، عندما رآني: "حسنًا، يا مسيو. لم نقدر على إيجاد رجلك. لم يستطع وكلائي وضع أيديهم عليه".

آه! شعرت بقلبي يغوص بين جوانحي.

سألت: "لكنكم على الأقلّ وجدتم منزله؟".

"نعم، بالتأكيد، وهناك المزيد، فسنضع بيته الآن تحت الحراسة والمراقبة حتى عودته. أما بالنسبة إلى الرجل نفسه، فقد اختفى".

"اختفى؟".

"نعم، اختفى. كان يمضي أمسياته في العادة في منزل إحدى جيرانه من الإناث، التي هي أيضًا وسيطة بيع أثاث، وهي نوع غريب من مشعوذة،

تُدعى الأرملة «بيدو». لكنّها لم تره هذا المساء، ولم تعطنا أيّة معلومات تتعلق به. ينبغي أن ننتظر حتى الغد".

انصرفت، وذهبت بعيدًا. آه! كم بدت شوارع ريون شريرة بالنسبة لي، بل وأصبحت الآن مضطربة ومسكونة!

نمت بشكل شديد السوء لدرجة أنّه كان ينتابني كابوس في كلّ مرّة أكاد أنام فيها.

انتظرت حتى العاشرة تمامًا من صباح اليوم التالي، قبل أن أتقدّم بنفسي للشرطة، طالما أنني لم أكن أرغب في الظهور بشكل قلق أو متلهف.

لم يظهر التاجر، وظلّ متجره مغلقًا.

قال المفوّض لي: "لقد اتخذت جميع الخطوات اللازمة. أصبحت المحكمة على بيّنة من القضية. سوف نبدأ معًا في ذلك المحلّ، وحين نفتحه، سوف تشير إلى كلّ ما يخصّك من أثاث".

وصلنا إلى هناك في سيّارة أجرة. تمركزت عناصر الشرطة محيطة بالمبنى. وكان هناك صانع أقفال وكوالين سرعان ما فتح المحلّ.

عند دخول المحلّ، لم أستطع اكتشاف أيّ من خزائني، أو كراسيّ، أو طاولاتي. لم أرَ شيئًا، لا شيء من ذلك الذي أثث منزلي، لا، لا شيء، على الرغم من أنني مساء اليوم السابق لم أكن أتحرّك أيّة خطوة دون أن أواجه بشيء يخصّني.

نظر إلي الرئيس المفوّض مذهولًا، بارتياب في البداية.

قلت له: "يا إلهي! يا مسيو. لقد تزامن اختفاء هذا الأثاث بغرابة مع اختفاء ذلك التاجر".

ضحك.

"هذا صحيح. لقد أخطأت بالأمس في الشراء بدفعك ثمن تلك الأدوات التي كانت من ممتلكاتك الخاصة. كان ذلك ما أعطاه إشارة".

أجبت: "إنّ ما يبدو غير مفهوم، هو أنّ كلّ تلك الأماكن التي سبق أن احتلها أثاثي أصبحت الآن مشغولة بأثاثٍ آخر".

أجاب المفوض: "آه! كان لديه الليل بطوله، وليس هناك شكٌّ في أنّه جرت مساعدته بمعرفة متواطئين معه. لابد أنّ هذا البيت متواصل مع جيرانه. لكن لا يداخلك أيّ خوف، مسيو. سيكون هناك تحقيق فوري وشامل. لن يهرب قاطع الطريق منّا طويلًا، إذ عند مشاهدته سيجد أننا مسئولين عن العرين".

* * *

آه! قلبي، قلبي المسكين، كيف يدقّ؟!

بقيت في ريون مدّة أسبوعين. لم يعد الرجل. يا للسماوات! يا للسماوات الطيبة! ذلك الرجل، ماذا يمكن أن يكون قد خوّفه أو فاجأه!



لكن في اليوم السادس عشر، وصلتني، مبكّرًا في الصباح، من بستاني حديقتي، حارس البيت الفارغ المنهوب الآن، الرسالة الغريبة التالية:

مسيو:

"يشرفني أن أبلغ سيدي أنّ شيئًا غريبًا قد حدث، مساء أول أمس، لا يستطيع أن يفهمه أحد، ولن تختلف الشرطة عن بقيتنا في عدم الفهم. لقد رجع كلّ الأثاث، وليست هناك قطعة واحدة مفقودة. كلّ شيء في مكانه حتى أصغر أداة. أصبح المنزل هو نفسه الآن بكلّ احترام تمامًا كما كان قبل عملية السطو التي وقعت. وهو ما يكفي لجعل المرء يفقد عقله. وقد حدث هذا الأمر خلال ليلة الجمعة – السبت. حفرت كلّ الطرق مثلما جرى مع السور الذي سحب من مكانه حتى وصل إلى الباب. وقد سبق أن لوحظ نفس الشيء في اليوم التالي لاختفاء الأثاث.

نحن نتوقع وصولكم، مسيو، بفارغ الصبر.

من خادمكم المطيع المتواضع: فيليب رودين"..

"آه! لا، لا، آه! أبدًا، أبدًا، آه! لا. لن أعود ثانيةً إلى هناك!".

أخذت الخطاب إلى مفوض الشرطة.

"إنه ردّ ذكيّ جدًّا" قال. ثم استطرد: "دعنا ندفن الأحقاد. سوف نقضي على فتنة هذا الرجل في أحد تلك الأيام".

* * *

لكن لم تقضِ الشرطة على فتنة ذلك الرجل. لا. لم يقضوا على فتنته، وأنا أخافه الآن، مثلما أخاف بعض الحيوانات الشرسة التي فكّ عقالها ورائي.

حدث لا يمكن تفسيره! إنّه لا يمكن تفسيره، هذا الوهم الذي ضربني فجأة. لن تحلّ قضيته أو نفهمها أبدًا. لن أعود أبدًا إلى مقرّ إقامتي السابق. ماذا يعني ذلك بالنسبة لي؟ أخشى مواجهة ذلك الرجل مرّة أخرى، ولن أعرض نفسي للخطر.

حتى لو عاد، لو رجع إلى ملكية متجره، من يمكنه أن يثبت أن أثاثي كان في مقرّه؟ لا يوجد هناك سوى شهادتي ضد شهادته، وأشعر أنها ليست فوق مستوى الشبهات.

آه! لا! أصبح هذا النوع من الوجود لا يطاق. لم أعد قادرًا على حماية سرّ ما شاهدته. لن يمكنني الاستمرار في العيش مثل بقيّة العالم، مع خوف أحمله على عاتقي من أنّ تلك المشاهد قد يعاد تمثيلها.

لذلك جئت لاستشارة الطبيب الذي يدير مستشفى أمراض عقلية، وقد أخبرته بكلّ شيء.

بعد أن استجوبني فترة طويلة، سألني:

"هل توافق، يا مسيو، على البقاء هنا بعض الوقت؟".

"عن طيب خاطر، يا مسيو".

"هل لديك بعض موارد مالية؟".

"نعم، يا مسيو".

"هل لديك شقة معزولة؟".

"نعم، يا مسيو".

"هل تهتم باستقبال أيّ أصدقاء؟".

"لا، يا مسيو، لا، لا أحد. قد يركب الرجل من ريون رأسه كي يطاردني إلى هنا، لينتقم مني".

* * *

أنا وحدي، وحدي، كليّة، كليّة وحدي، لمدة ثلاثة أشهر. يزداد هدوئي درجات. لم تعد لديّ مخاوف. إذا أصبح بائع الأنتيكات مجنونًا.. وإذا أمكن إدخاله إلى هذا المصحّ، عندئذٍ حتى السجون نفسها ليست أماكن آمنة!

الاكتمال

عاش رجل يدعى هاريسون، ذو مزاج لطيف وأحمق، هناك في لندن قريبًا من عام 1889. وحدث ذات صباح، أن قابل سيدة كان يهتم بها في محطة "شارينج كروس"، قالت له:

- لكن يا سيد هاريسون، لماذا لا تكتب؟ إنك الشخص المناسب تمامًا!

رأى هاريسون أنه كان فعلًا ذلك الشخص المناسب، فأنتج خلال ستتين إحدى عشرة قصة قصيرة، واثنتين لم يكن راضيًا عنهما بشكلٍ خاص، لكن نظرًا لأنه لم يكن يريد أن يضيّعهما بطبيعة الحال، فقد وضعهما مع القصص الأخرى، وأرسلها جميعًا إلى ناشر. وبمضي الوقت، استلم رسالة من الناشر يخبره فيها أنه بعد بحث أو بإجراء معين، سيكون مستعدًّا لتحمّل مخاطرة نشر هذه القصص على أن يتحمّل هاريسون كلّ النفقات، وهو ما أرضى هاريسون، الذي كان يشعر أنه ليس هناك وقت ليضيّعه في جعل "عمله" شعبيًّا، فكتب إلى الناشر برغبته في أن يضع الأمر موضع التنفيذ. ردّ الناشر على رسالته بتقدير للنفقات واتفاق، أجاب عليها هاريسون بتحرير شيك بالمبلغ المطلوب. ردّ الناشر فورًا بخطابٍ مهذب أن هناك مبلغًا إضافيًّا معينًا ينبغي أن يُنفق على الإعلانات. استوعب هاريسون أهمية تلك الفكرة فورًا، وأجاب بتحرير شيك آخر، متيقنًا أنه لا ينبغي أن يكون المال موضع جدل بين رجلين نبيلين.

ظهر الكتاب في الوقت المحدد. كان عنوانه "في مسار النجوم"، تأليف "كوتبيرت هاريسون"، وخلال أسبوعين بدأت تصل مراجعات للكتاب. قرأها "هاريسون" بسرور غير عادي، لأنها كانت مليئة بتملق متميّز. تساءل أحدها إذا ما كان ذلك هو "فارس لانسلوت متخفّيًا". كما وصفت صحيفتان متحررتان القصص بأنها تحف أدبية، وقارنتها إحداهما بأفضل ما في قصص أدجار ألان بو وجي دي موباسان، واعتبرته الثانية رديارد كيلنج الثاني. كان قد تشجع كثيرًا، لكن إزاء طبيعته المتواضعة، فإنه لم يجد مفرًّا من الكتابة للناشر مستطلعًا رأيه فيما يراه حول طبعة ثانية للكتاب. ردّ الناشر بكشف حساب، ذاكرًا فيه بشكل رسمي أنه باع فعلًا ما يقرب من أربعمائة نسخة. أشار هاريسون إلى الشيك المقيّد بالدفاتر، عالـمًا أن الطبعة الأولى كانت من ألف نسخة. أجاب الناشر بأنّه يرى أنّ عليه أن ينتظر.

وانتظر حتى مضت ستة شهور، فكتب إليه ثانيةً. ردّ الناشر بأنّه باع حتى الآن أربعمائة نسخة وثلاثة، ولكن ذلك قد يرجع لأن السيد "هاريسون" يعتبر اسمًا غير معروف في الوقت الحالي، لذلك فإنه لا ينصح بطبعة ثانية، كما أنّه ليس هناك سوق للقصص القصيرة. ونظرًا لما لاقاه من استقبال جيّد تمامًا، فقد أوصى السيد "هاريسون" أن يكتب قصة طويلة. سيكون ذلك الكتاب ناجحًا دون شك طالما أن كتابًا للقصة القصيرة لا يمكن أن ينجح أبدًا. وأرسل للسيد "هاريسون" شيكًا بمبلغ صغير، وعددًا كبيرًا من مراجعات، كانت قد وصلت فعلًا للسيد "هاريسون".

قرّر "هاريسون" أن لا يقوم بطبعة ثانية، متعلقًا بوقار النجاح. كانت كلّ قصصه مرضية تمامًا، وسرعان ما بدأ كتابة قصته الطويلة. والآن، تصادف أن كان بين أصدقاء "هاريسون" رجلًا نابغة، أرسل إلى "هاريسون" رسالة، قال فيها:

"لم تكن لديّ أيّة فكرة، أنك يمكن أن تكتب بهذا الشكل، بطبيعة الحال، يا رفيقي العزيز، لم "تنتشر" القصص، ليس هناك شكّ في ذلك، أنّها لم "تنتشر"، ولكن لديك كثير من الوقت، فأنت شاب، وأرى أنك قادر على القيام بأداء أشياء. فلتزرني هنا، ليكون بيننا حديث جديّ حول موقفك الآن".

لم يضيّع "هاريسون" وقتًا عندما وصلته تلك الرسالة، بل انطلق إليه فورًا. شرح الرجل النابغة، مع إبريق كؤوس خمر كلاريت فرنسية في فترة ما بعد ظهيرة صيف، كيف أن القصص لم "تنتشر"، قائلًا:

"إنّها تعرض شعورًا بحسّ دراما خارجي، لكن لم يكن هناك أية دراما نفسية حقيقية".

أطلعه "هاريسون" على مراجعاته. ثم غادر الرجل النابغة في اليوم التالي مع شعور عميق بالحزن. ومع ذلك، فإنه خلال عدّة أسابيع، سرعان ما تبخّر الحزن، وبدأت كلمات الرجل النابغة تونع ثمارًا، ومع نهاية الشهر الثاني، كتب "هاريسون" إليه:

"أنت على صواب تمامًا في أن القصص لم "تنتشر"، ومع ذلك فإنني أعتقد أنني الآن على الدرب الصحيح".

ومع نهاية عام آخر، وبعد الرجوع إلى الرجل النابغة مرة أو مرتين، أنهى كتابه الثاني، الذي أسماه "جون آنداكوت". وهجر التلميح في ذلك الوقت تقريبًا إلى "عمله"، وبدأ يطلق على كتاباته لفظ "مادة".

أرسلها إلى الناشر مع اعتبار نشرها ملكية شخصية، وقد ردّ الناشر في وقت أقلّ من المعتاد، أن "جون آنداكوت" (في المقام الأول) لم يحقق الوعد المنشود تمامًا من كتاب السيد "هاريسون" الأول: وكي يبرز أمانته الكاملة أرفق مقطعًا من رأي "القراء"، الذي أوضح **"أن السيد هاريسون قد سقط بين فروع الفن النامية والجمهور البريطاني العام"**. لذلك، ومع كثير من مشاعر الناشر الشخصية، فإنّه يعتقد أنه قد يقبل المخاطرة في ظلّ ظروف السوق السيئة، إذا كان السيد "هاريسون" سيؤمّن النفقات.

أجاب السيد "هاريسون"، وقد حجّر فؤاده، بأنه ليس مستعدًا لتأمين النفقات، وهو ما دعى الناشر إلى الردّ معيدًا إليه مخطوطه، قائلًا إنّ رأيه (في المقام الأول) أن السيد هاريسون يأخذ منحى خاطئًا، يأسف عليه الناشر كثيرًا، لأنه كم أشاد بالعلاقات الطيبة، التي طالما سادت بينهما.

أرسل "هاريسون" الكتاب إلى ناشر أصغر، قَبِلَه على أساس جعل حقوق الملكية الشخصية تأتي في المقام الثاني من الأهمية. وهكذا صدر الكتاب.

بدأت المراجعات تصل إلى هاريسون، مع نهاية ثلاثة أسابيع. كانت مشوّشة. اشتكت إحداها من نقص في الحبكة. قالت أخرى، العكس، لسوء الحظ، بأنّ هناك كثيرًا من الحبكة. كان الاتجاه العام هو الأسف لأنّ مؤلف

"في مسار النجوم" لم يحقق الآمال التي عُقدت على كتابه الأول، وهو ما ظهر كدليل على قسوة تامة للذوق العام، وربّما كان ذلك قد أحبط هاريسون لو لم يتسلم رسالة من الرجل النابغة مكرّسة لتلك العلاقات المتبادلة:

"يا رفيقي العزيز إنني أكثر سعادة مما يمكن التعبير عنها. إنني أكثر اقتناعًا الآن من أيّ وقت مضى أنك تستطيع إنجاز أعمال".

بدأ هاريسون فورًا كتابه الثالث.

ولكن لسوء الحظ، نتيجة لجعل حقوق الملكية تأتي في المقام الثاني من الأهمية، فإنه لم يستلم أي شيء من الكتاب الثاني. باع الناشر ثلاثمائة نسخة. وخلال فترة (ثمانية عشر شهرًا)، التي كان يكتب فيها الكتاب الثالث، قدّم الرجل النابغة "هاريسون" إلى ناقد، مع هذه الكلمات **"يمكنك أن تعوّل على حكمه، لأنّ المعدم يعتبر معصومًا".**

بينما قال الناقد **"أقول لك، إنّ هذا الرفيق يمكنه أداء أعمال".**

كان الناقد جيدًا مع "هاريسون"، لأنّه كما قيل سابقًا، كان ذا مزاج لطيف.

حين أنهى "هاريسون" كتابه الثالث، أهداه إلى الرجل النابغة، وأسماه "صيف".

كتب إليه الرجل النابغة، حين استلم نسخته **"يا رفيقي العزيز. كم هو جيد! ليس هناك مزيد يمكن قوله. كم هو جيد! لقد قرأته بسرور لا يمكن وصفه".**

استلم "هاريسون" في نفس اليوم رسالة من الناقد تحتوي على الآتي:
"نعم، إنه تقدّم لاشكّ فيه. إنه ليس فنًّا فقط، بل هو تطوّر عظيم أيضًا!".

تشجّع "هاريسون" بشكل معتبر. أصدر نفس الناشر الكتاب. وباع مائتا نسخة فقط، لكنه كتب بشكل محزن لـ"هاريسون"، قائلًا إن طلب الجمهور بدا **"مستنزفًا تقريبًا"**. ثم استطرد وهو يراعي أن المقارنات تعتبر بغيضة، لذلك أحجم "هاريسون" عن مقارنة مبيعات الكتاب مع مبيعات "في مسار النجوم"، الذي كشف عن دليل على **"قسوة تامة للذوق العام"**. وفي تلك الأثناء، بدأت تراوده فعلًا أحلام هجر مصادر دخله الخاص، وأن يعيش حياة أدبيّة خالصة. وعلى الرغم من أنه لم يحصل على مراجعات عديدة، إلاّ أنّه بدأ كتابه الرابع.

أمضى سنتين في كتابة هذا "العمل"، الذي أسماه "رجل مفقود"، وأهداه إلى الناقد. أرسل نسخة استهلالية إلى الرجل النابغة، وسرعان ما وصلته إجابة فورية تقريبًا:

"يا رفيقي العزيز، إنّه مدهش، مدهش حقًا. كم تتطوّر! لم يعد ممكنًا أبدًا تخيّل أنك نفس الشخص، الذي كتب "في مسار النجوم". أخيرًا أغبط نفسي على حقيقة أنني في كتابك الأول كشفت عن قدرتك على إنجاز "أعمال". آه! كم أتمنى أن أكتب مثلك! إنّ "رجل مفقود" جيّدة بشكلٍ عجيب".

كان الرجل النابغة مخلصًا تمامًا في هذه الملاحظات، التي كتبها بعد تمعّن في الفصول الستة الأولى. لأنّه لم ينهِ قراءة الكتاب أبدًا، فقد شعر بإعياء شديد، كما لو أن "هاريسون" قد استنزف طاقته، لكنه ألمح إلى أنه كتاب "جيّد بشكل عجيب"، تمامًا كما لو أنه قد أنهى قراءته فعلًا.

أرسل "هاريسون" نسخة أخرى إلى الناقد، الذي كتب بحميمية رسالة دافئة، قائلًا فيها إن "هاريسون قد "أنجز" في النهاية". وقال: "هذا هو الفنّ. أشكّ في أنك لن تحقق أبدًا أي شيء آخر أفضل من هذا..إنني أتوّجك".

وبدأ "هاريسون" فورًا كتابه الخامس.

ظلّ لأكثر من ثلاث سنوات عاكفًا على هذا "العمل" الجديد، وأسماه "رحلة طويلة". لكنه وجد صعوبات جمّة في نشره. وبعد يومين من ظهوره، كتب الناقد لـ"هاريسون" "لا أستطيع أن أعبّر لك عن مدى جمال كتابك الجديد، كما أعتقد. ربّما هو أقوى من "رجل مفقود"، وربّما أكثر أصالة. وقد تكون هناك أشياء أيضًا، لأنني لم أكمله بعد. لكنني كتبت فورًا دون تردد حتى أدعك تعرف رأيي".

وللحقيقة، فإنه لم يكمل الكتاب أبدًا. لم يستطع، فقد كان شديدًا..! ومع ذلك، قال لزوجته "إنه جيّد بشكل عجيب"، وجعلها تقرأه.

بينما أبرق الرجل النابغة في تلك الأثناء، قائلًا: "سأكتب لك عن كتابك. إنني أراه إيجابيًّا تمامًا، لكنني مصاب بلمباجو، ولا أستطيع إمساك قلم".

لم يتسلم "هاريسون" أيّة خطابات، لكن الناقد استلم واحدًا جاء فيه "هل تستطيع قراءته؟ إنني لا أستطيع. لقد "بالغنا" معًا".

كان "هاريسون" مبتهجًا، لكن ناشره الجديد لم يكن كذلك. كتب بمزاج نكد، قائلًا إنه ليس هناك بيع على الإطلاق. يجب على السيد "هاريسون" أن يتوخى الحذر فيما يفعل وإلا سيستنزف جمهوره، وأرفق مراجعة وحيدة، قالت بين أشياء أخرى "قد يكون هذا الكتاب فنًّا جميلًا جدًّا، جميل جدًّا معًا. لكنّا وجدناه مملًّا".

سافر "هاريسون" إلى الخارج، وبدأ كتابه السادس، وأسماه "الاكتمال"، وعمل عليه متوحّدًا مثل ناسك، لأنه للمرّة الأولى أرضى نفسه. كتبه كما أراد، بدم قلبه، ببهجة مريرة تقريبًا. وغالبًا ما ابتسم لنفسه كلما فكر كيف أنّ كتابه الأول الذي أنجزه، قدّم دليلًا على قسوة تامة للذوق العام تقريبًا، وكيف أن الناقد قال عن الكتاب الرابع: «هذا هو الفنّ. أشك في أنك لن تحقق أبدًا أي شيء آخر أفضل من هذا". كم بدا كلّ ذلك بعيدًا! آه! كان قد كتب فعلًا كتاب "الاكتمال" هذا بإخلاص لما يشتهي.

وبمضي الوقت رجع إلى انجلترا، واستأجر كوخًا في "هامستيد"، حيث أنهى كتابه هناك. وفي اليوم التالي لإنهائه، أخذ المخطوط، ومضى إلى بقعة سبق تحديدها على قمة أرض بور، حيث اضطجع على العشب كي يقرأ هناك بهدوء. قرأ ثلاثة فصول، ثم ركن الباقي إلى جواره، وجلس ورأسه مدفونًا بين يديه.



فكر "حسنًا، لقد أنجزته أخيرًا. إنه جيد، جيد بشكل عجيب!"، وظلّ جالسًا بذلك الشكل لمدة ساعتين، ورأسه بين يديه. كان فعلًا قد استنزف جمهوره. كان جيّدًا تمامًا، لدرجة أنه لم يستطع أن يقرأه بنفسه!

عندما رجع إلى كوخه، وضع المخطوطة في أحد الأدراج، ولم يكتب كلمة أخرى بعد ذلك أبدًا.

الأســد

بدأ الأمر كلّه بحدث مذهل بشكل كامل. وحتى نكون منصفين، فإنّ الأسد، ملك الغابة العظيم، كان مخمورًا فاقد الحس، بعد أن تعثر في قوائمه الأربعة، وانقلب على جانبه. كان الأمر كارثة كاملة.

كان الأسد طالبًا في جامعة لننجراد، ويعمل أيضًا بشكلٍ إضافي في مسرح الباليه، وقد ارتدى من أجل حفلة اليوم جلد أسد، حيث كان من المفترض أن يظلّ واقفًا على جرف ينتظر حتى تصرعه حربة ترميها بطلة الباليه ليسقط الأسد المقتول بعيدًا عن الجرف على حشيّة بعيدًا عن خشبة المسرح . كان الأمر قد مضى على ما يرام في البروفات، لكن حدث اليوم فجأة، في يوم حفل الافتتاح، قبل ساعة ونصف من رفع الستار، أن ارتكب الأسد هذا الضرر البهيمي، وليس هناك ما يمكن عمله، ولا يمكنهم أن يلغوا الحفل لأنّ مفوّض الحزب الشيوعي سيأتي من موسكو، لذلك عُقد اجتماع طارئ في مكتب "المخرج الأحمر".

كانت هناك دقّة على الباب، ثم دخل رجل إطفاء المسرح "بيتيا زربياكين". صرخ فيه"المخرج الأحمر" الذي كان الآن أحمر في الحقيقة من الغضب: "ماذا تريد ؟ ليس لديّ وقت الآن! فلتذهب إلى الجحيم"!

"الرفيق المخرج ..إنني هنا بسبب الأسد". قال رجل الإطفاء.

"حسنًا، وماذا عن الأسد؟. حسنًا، أعني أن أسدنا مخمور، ولذلك أريد، أيها الرفيق المخرج، أن ألعب دور الأسد".

لا أدري إذا ما كان للدببة بقع وعيون زرقاء. إذا كان الأمر كذلك، عندئذٍ فإن "زربياكين " الضخم الذي يشبه شكل دبّ أكثر منه شكل أسد في حذائه ذي الرقبة الذي يشبه قالبًا حديديًا. هل يمكنه بمعجزةٍ ما أن يلعب دور أسد؟ أقسم الرجل أنه يستطيع لأنه راقب كلّ البروفات من جوانب خفيّة من المسرح، كما أنه حين كان في الجيش مثّل في "الإمبراطور مكسيمليان". وبدون أن يُظهر مدير المسرح ابتسامة ملتوية، أمر المخرج "زربياكين " أن يرتدي مسوح الأسد وأن يقوم بتجربة.

وخلال عدة دقائق، كان الموسيقيون يعزفون "مارش الأسد" بهدوء على المسرح فعلًا. وقد أدّى "بيتيا زربياكين" في جلد الأسد، كما لو أنه لم يولد في مقاطعة "ريازان"، بل في الصحراء الليبية. لكن في اللحظة التي كان عليه أن يسقط فيها من الجرف، نظر إلى أسفل، وتردد. هسهس مخرج المسرح فيه بهمسة عنيفة: "اسقط، عليك اللعنة، اسقط".

جاء انهيار الأسد بامتثال. سقط بشكلٍ عنيفٍ على ظهره، ورقد هناك غير قادر على أن ينهض. "لا تقل لي إنك لا تستطيع أن تنهض! لا تقل لي ذلك ثانيةً، في اللحظة الأخيرة، إنها كارثة"!

ساعدوه على النهوض. وقف هناك، بعد أن خلع جلده شاحبًا، ممسكًا ظهره، وهو يبتسم بارتباك. ومع ذلك، كان قد فَقَد سنًّا علوية، وبدت هناك

ابتسامته حزينة وطفولية (على الجانب الآخر، فهناك دائمًا شيئًا طفوليًا حول الدببة، أليس كذلك؟).

لم تكن إصابته خطيرة لحسن الحظ. وحين طلب بعض الماء، أمر المخرج بأن يحضروا له فنجانًا من الشاي من مكتبه. حين انتهى من شربه، بدأ المدير يستعجله: "حسنًا، أيها الرفيق، لقد جعلت من نفسك أسدًا. ارتدِ الجلد! هيا ارتدِ الجلد، ارتدِ الجلد لأننا سنبدأ حالًا".

رفع شخص الجلد بميل للمساعدة، لكن الأسد لم يكن يرغب في أن يرتديه. أعلن بثبات وعلى نحوٍ قاطع أنه لابد أن يغادر المسرح فورًا، ورفض أن يقول ما هي تلك الضرورة الملحّة التي تجبره على ذلك، بل ابتسم خجلًا فقط. غلى المخرج من الغضب. حاول أن يأمر، حاول أن يذكّر "زربياكين" بأنه عضو مرشح في الجماعة، عنصر حاسم. لكن الأسد، العنصر الحاسم، أصرّ بثبات علي موقفه. وفي النهاية، كان لابدّ أن يرضخ المخرج، بينما يعرض "زربياكين" ابتسامة من خلال فجوة سنّه، وهو يهرول إلى مكانٍ ما خارج المسرح.

تساءل المخرج محمرًا مرّةً أخرى من الغضب: "أين سيأخذه الشيطان ؟ ما هي تلك الأسرار التي لديه؟".

لم يتمكن أحد من أن يجيب المخرج الأحمر. كان السرّ معروفًا فقط لـ"بيتيا زربياكين"، وبطبيعة الحال لمؤلف هذه القصة .وبينما كان "زربياكين " يسرع إلى مكانٍ ما خلال خريف بتسبرج الممطر، يمكننا أن نرجع في الزمن إلى الوراء، إلى تلك الليلة من شهر يوليو، حين وُلد سرّه.

لم يكن الليل قد بدأ بعد في تلك الليلة، بل كان النهار ما زال شاحبًا برفق لوهلة مثل مسير جندي يتوارى دون أن يوقف سيره، أو حين يختلط الواقع والحلم، وهو هاجع في نومة خفيفة أمام قنوات مياه لامعة قرنفلية اللون، انقلبت على صفحتها أشجار، نافذة، أعمدة، بتسبرج .وفجأة، مع نسيم عليل، اختفت بتسبرج، لتحلّ محلها لينينجراد، العلم الأحمر مرفرفًا على قصر الشتاء موقظًا الريح، وإلى جواره في نوبة حراسة في حديقة آلكساندر، كان هناك ضابط شرطة بمسدس .

تجمّع مجموعة من عمال الترام تدريجيًا حول ضابط الشرطة. كان يمكن أن يرى من وراء ظهورهم وجه ضابط الشرطة مستديرًا مثل تفاحة من ريازان. كان هناك شيء غريب يحدث . كانوا يجذبون ضابط الشرطة من يديه وظهره، وأخيرًا اقترب أحد العمال بشفتيه، وقبّل بنعومة وجنة الضابط . احمر وجه ضابط الشرطة، ونفخ بعنف في صفارة فتفرق العمال. بقي "بيتيا زربياكين " وحده، وجهًا لوجه مع ضابط الشرطة، وسرعان ما اختفى ضابط الشرطة ، فجأة تمامًا مثلما اختفت بتسبرج المنعكسة على صفحة الماء مرعوبة من الريح. كانت أمام "زربياكين" قبعة فتاة، ضابطة شرطة بسترة الضابطات القصيرة، أول ضابطة شرطة عيّنت في بيسكي بروسبكت بواسطة الثورة. برز حاجباها السوداوان معًا عبر قنطرة أنفها بينما ومضت عيناها.

"يجب أن تخجل من نفسك، أيها الرفيق!" كان ذلك هو كل ما قالته لـ"بيتيا زربياكين"، لكن، أوه، كيف قالته! كان قد تشوّش وبدأ يشعر بالذنب. "أقسم بالله، إنه ليس أنا! لقد كنت ماضيًا فقط إلى البيت".

"آه، إنه أنت .. وأحد العمال!" نظرت ضابطة الشرطة إليه، لكن، أوه، كيف نظرت إليه!.

لو كان هنا على الرصيف باب سرّي كالذي لديهم هناك على خشبة المسرح لكان "زربياكين" قد غاص خلاله فورًا ليكون ذلك هو استعباده، لكن كان عليه أن يمشي ببطء مبتعدًا، شاعرًا بنظرة حارقة تخترق ظهره.

وكانت الليلة التالية، مرّة أخرى ليلة شاحبة، ومرّة ثانية كان الرفيق "زربياكين "يمضي في الطريق إلى منزله من عمله في المسرح. ومرة أخرى كانت هناك نوبة حراسة ضابطة الشرطة لحديقة آلكساندر. أراد "زربياكين" أن يتسلل منصرفًا عبرها، لكنه لاحظ نظرتها إليه فانحنى مشوّشًا بإحساسٍ بالذنب، عندئذٍ أومأت، وانعكس ظلّ باهت على صلب مسدسها الذي بدا من صلب قرنفلي اللون. وأمام هذا المسدس القرنفلي، أصبح "زربياكين" أكثر جبنًا عمّا كان عليه أمام كلّ المسدسات التي أطلقت عليه لمدة خمس سنوات في جبهات مختلفة.

لكنه لم يجرؤ على أن يتحدث مع ضابطة الشرطة، إلا بعد مضي أسبوع. اتضح أنها أيضًا، مثل "زربياكين"، كانت من مقاطعة ريازان، وأنها ما تزال تتذكر تفاح ريازان الخاص بها، الحلو مع بعض المرارة، فأنت لا يمكنك أن تجد تفاحًا مثل ذلك في الجوار هنا.

أصبح "زربياكين "يتوقف عند حديقة آلكساندر في كلّ مرّة يعود فيها من العمل. وانقضت الليالي الشاحبة مجنونة، خضراء، قرنفلية،

ورصاصية، سماء ملونة، لم تتحول إلى الإظلام حتى ولو لثانية واحدة. كان هناك أزواج يتعانقون في الحديقة، لكنهم يسعون خلال النهار إلى الظلال حتى لا يروا.

في ليلة مثل تلك، سأل "زربياكين" ضابطة الشرطة بشكلٍ أخرق مثل دبّ:

"وإذن، للمثال، هل يمكنك كضابطة شرطة أن تتزوجي خلال قيامك بأداء مهامك؟ أقصد ليس خلال أداء مهامك، لكن بشكل عام أي مع أخذ وظيفتك في الاعتبار مثل العسكرية ".

سألت الضابطة كاتيا، منحنية على مسدسها: "ولماذا أتزوج؟ نحن، في هذه الأيام، مثل الرجال، نرغب، ونحب".

كان مسدسها قرنفلي اللون. رفعت ضابطة الشرطة وجهها إلى سماء مشتعلة بالحمى، ثم نظرت إلى ما وراء زربياكين، وقالت:

"نعم، وللمثال، إذا وجد هناك ذلك الرجل الذي يقرض شعرًا.. أو ممثل حين يخرج إلى خشبة المسرح يضجّ الجميع بالتصفيق"..

تعتبر تفاحة ريازان حلوة ومرّة أيضًا. فهم "زربياكين" أن من الأفضل بالنسبة إليه أن ينصرف، على أن لا يعود إلى هناك مرة أخرى، فقد انتهى الأمر.

ومع هذا، يعتبر كل ذلك الآن وراءنا لأنه راح يندفع الآن خلال أمطار الخريف، عبر امتداد شارع جلينكا. ومن حسن الحظ، أن هذا الشارع كان قريبًا من المسرح، ومن حسن الحظ أيضًا، أنه وجد كاتيا ضابطة الشرطة في منزلها. لم تكن ضابطة شرطة، بل كانت تغسل بلوزة بيضاء في طست وقد

شمّرت عن ساعديها، وعلى أنفها وجبهتها قطرات عرق .ولم تظهر أبدًا أكثر معزّة إليه عمّا كانته الآن. كانت أليفة تمامًا.

حين وضع "زربياكين "تصريح المسرح في مواجهتها قائلًا إنه سيشارك اليوم في العرض، لم تصدق ذلك. ثم أصبحت منتبهة، ثم ولسبب ما أصبحت مشوّشة، وأنزلت كميّها المشمرين. ثم نظرت إليه (أوه، كيف نظرت!) وقالت إنها ستحضر بالتأكيد .

كانت أجراس المسرح ترنّ فعلًا في غرفة التدخين، في الممرات، وفي المدخل .كان مفوّض الحزب الأقرع في مقصورة المسرح يحدّق بعينين نصف مغمضتين .وكانت الباليرينات على خشبة المسرح، ما زلن مختبئات وراء الستار يضيّقن تنوراتهن مع نفس الحركة التي كان البجع ينخفض ثم يرتفع بها في الماء، وينظفن أجنحتهن. ووراء الجرف، تاليًا لهن، كان الأسد "زربياكين"، كما بدا هناك مدير المسرح والمخرج قلقين .

همس المخرج في أذن الأسد **"تذكّر، أنك عنصر صدمة! كن على حذر، ولا تفسد الأمر"!**

ارتفع الستار، ووراء صف لامع من أضواء الأرضية، انفتحت القاعة المظلمة أمام الأسد، ممتلئة حتى القمّة بنقاط الوجوه البيضاء. منذ زمن بعيد، حين كان "زربياكين "ما زال في الجبهة، تسلّق خارجًا من خندق فانفجرت قذائف في مواجهته. ارتجف راسمًا علامة الصليب كما تجري عادة القرية، ومع ذلك اندفع للأمام. بدا الآن بالنسبة إليه، أنه لن يكون قادرًا



على أن يقوم بخطوة واحدة. لكن مخرج المسرح دفعه من الخلف، وهو، محرّكًا ساقيه وذراعيه، أصبح فجأة شخصًا آخر. زحف ببطء إلى الجرف. رفع الأسد رأسه عند قمة الجرف، فرأى عن قرب في مقصورة الصف الثاني "كاتيا"، ضابطة الشرطة منحنية فوق درابزين المقصورة. كانت تنظر إليه مباشرةً. دقّ قلب الأسد عاليًا دقّة دقّتان. ثم توقف! كان يهتز بعنف. الآن، سيتقرر مصيره، كانت الحربة تطير فعلًا باتجاهه .بوم! لقد أصابته في الجانب. الآن، يجب عليه أن يسقط. وإذا سقط مرّة أخرى بالطريقة الخاطئة فسيدمرّ كل شيء. أصبح مرعوبًا أكثر من أيّ وقت مضى في حياته. لقد كان الأمر أكثر رعبًا مما حدث، وهو يتسلق خارجًا من الخندق.

لاحظ الحاضرون في القاعة، أن هناك شيئًا غريبًا يحدث فعلًا على خشبة المسرح. لقد وقف الأسد الجريح على نحو مقدّر دون حركة على قمة الجرف، وهو ينظر إلى أعلى، وسمعوا في الصفوف الأولى مدير المسرح ينوح بهمسة رهيبة **"اسقط، عليك اللعنة ، اسقط"**.

وفجأة ،شاهد الجميع شيئًا مذهلًا تمامًا. رفع الأسد قائمه الأيمن واندفع بسرعة ليسقط مثل صخرة بعيدًا عن الجرف .

لحظة من صمت مدوّخ، ثم انفجرت القاعة مثل قذيفة في الضحك. ضحكت كاتيا، ضابطة الشرطة بشدّة لدرجة أن بكت. كان الأسد المقتول قد ألصق خطمه في قائمتيه، وراح ينتحب.

«ثلاث سنوات»

(1)

كان الليل مرخيًا سدوله على مدينة إقليمية صغيرة في روسيا، في حين جلس "آلكسي فيودروفيتش لابتيف" على مقعد خشبي أمام بيته منتظرًا انتهاء صلوات المساء في كنيسة "بطرس وبولس". كان ينتظر مرور "يوليا سيرجيفنا" في طريق عودتها إلى بيتها ليتحدّث إليها.

تجاوز انتظاره الساعة، فرجعت به أفكاره إلى بيته في موسكو، واندهش من أنه لم يستأجر بيتًا ريفيًا في "سوكولنيكس" واستأجر مع شقيقته المريضة "نينا فيودروفنا" بدلًا منه بيتًا في هذه المدينة الصغيرة. ثم تذكر مناقشاته التي لا تنتهي مع أصدقائه حول انقضاء الحياة دون حبّ، وأن الحبّ لا وجود له، أو هو لا يعدو أن يكون مجرّد انجذاب جسدي بين جنسين.

انتهت الصلاة. انتبه إلى صوت "يوليا" لكنها لم تكن وحدها، وحين انصرفت رفيقتاها لمحته، وسرعان ما أخبرها بأنه كان في طريقه لزيارة والدها الدكتور "سيرجي بوريستش"، فأومأت برأسها، وسارا معًا بين الحدائق. انبعثت همهمات نسائية خافتة فودّ لو أحاطها بذراعيه وأمطر وجهها بالقبلات وهو يخبرها كم ظلّ ينتظرها. لكنه كان يدرك أنها لا تحبّه، فشعر بأنّ السعادة التي يحلم بها لن تتحقق أبدًا.

بدا التعاطف واضحًا وهي تكلمه عن مرض شقيقته "نينا فيودروفنا" بعد أن أجرت عملية سرطان منذ شهرين، حيث يتوقع الجميع أن تصاب بانتكاسة، فأخبرها بأنها تذوي بين يديه ولا يدري حقيقة ما بها، وذلك بعد أن كانت ممتلئة بالحياة، حتى كان الجميع يطلقون عليها "فتاة موسكو". كانت "نينا فيودروفنا" من فتيات موسكو فعلًا. عاشت طفولتها مع شقيقيها في بيت والدهم التاجر بشارع "بياتنيتسكايا". لكنها كانت طفولة حزينة لصرامة الأب في معاملتها، لدرجة أنه ضربها بالسوط أكثر من مرة، كما ماتت أمها بعد مرضٍ طويل. أما الخدم فكانوا كسالى منافقين يأكلون ويشربون بنهم وهم يمدحون الأب الذي يحتقرونه. وكان أخواها محظوظين لذهابهما إلى المدرسة، بينما تعلمت هي القراءة والكتابة فقط، لذلك لم تكن تقرأ سوى الروايات التاريخية. وعندما بلغت الثانية والعشرين التقت بزوجها الحالي الوسيم المغرور، "بانوروف"، وتزوجته سرًّا ضد رغبة أبيها، الذي رفض أن يبارك زواجهما، لكنه إزاء إلحاح الزوج ومطالبته الأب ببائنة ابنته، أرسل إليها حاجيات والدتها من معاطف فراء وفضيات، بالإضافة إلى ثلاثين ألف روبل، وبعد فترة أرسل عشرين ألف روبل أخرى. وخلال تلك الفترة أنجبت خمس مرات، مات منهم ثلاثة أطفال، وبقيت لها طفلتان، كانت "ساشا" أكبرهما، نحيلة، سوداء الشعر، اتفق خالها، "آلكسي"، معها على تبادل القراءة لأمها، و"ليدا"، شقراء الشعر في السابعة من عمرها. ولم ينقضِ وقتٌ طويل إلا وقد تبددت كلّ تلك الأموال وبيع المنزل الريفي، وعمل "بانوروف" موظفًا في المحافظة، وكوّن أسرة أخرى، ورغم هذا كانت "نينا" تعبد زوجها.



وجد "لابتيف" الطبيب بالبيت. اعتذر عن تطفله، وتساءل عمّا يمكن عمله لمساعدة أخته على النوم ليلًا، وعن السبب في أنها تزداد نحولًا، وانتهى إلى سؤال عمّا إذا كان ضروريًا استدعاء طبيب من موسكو؟

تنهد الطبيب. شعر بأنّه أهين؛ فقد كان شخصًا شديد الحساسية. أضاءت "يوليا سيرجيفنا" المصباح. بدا عليها الإرهاق بعد صلاة الكنيسة، وبدت حاجتها إلى الانفراد بنفسها، فسرحت مع أفكارها، بينما استهلك هو كلّ الأحاديث التي يعرفها للاستمرار في الحديث مع "يوليا" ومع الطبيب عن الصحة والمرض، بل إنه حدثهم أيضًا حول مشروع فندق يزمع إقامته في المستقبل في موسكو، يوفر الطعام الجيد والمبيت النظيف بسعر زهيد. ثم استطرد بأنه ليس متعجلًا بخصوص الفندق. حملق إليه الطبيب بلامبالاة، بينما وقفت "يوليا" مستأذنة في الذهاب، راجيةً إبلاغ أخته تحياتها. وبعد فترة من مغادرتها استأذن من الطبيب ورجع إلى بيته. لم تعد الطبيعة كما كانت خلال رحلة الذهاب. بدا كل شيء تافهًا كما يجري عادةً عندما يكون الإنسان تعسًا.

زار "آلكسي لابتيف" أخته "نينا" وراح يقرأ لها جزءًا من رواية تاريخية حتى أغلق الكتاب بانتهائها، فأخبرته أن "يوليا" قد زارتها في الصباح، لكنها نسيت مظلتها، ورجته أن يرسلها إليها غدًا.

انصرف "آلكسي" من غرفة شقيقته عند منتصف الليل، وأخذ معه مظلة "يوليا سيرجيفنا"، فهبط إلى جناحه بالدور الأرضي، فوجد "بانوروف"، زوج "نينا" في حجرة الجلوس يقرأ جريدة. جلس "لابتيف"

في مواجهته بعد هزّة قصيرة من رأسه. كان يمكنهما أن يقضيا أمسيات كاملة دون أن ينطق أيّ منهما بكلمة. وبعد أن هبطت الابنتان لتقدّما للأب "بانوروف" تحية المساء، تطرّق حديث زوج "نينا" بخبث إلى أنه سعد لأنّه وجد ما يسليه بزيارته بيت دكتور "بيلافين"، نظرًا لكونه لم يكن يذهب من أجل الأب، وحين وافقه على رأيه، كان ذلك مدخلًا لذمّ الطبيب العجوز، وفتح هجومٍ ضارٍ على أطباء هذه المدينة الذين لا يفهمون شيئًا، ثم دعاه كي يسألهم ما هو السرطان. وسرعان ما انطلق في شرح ما هو السرطان. كان خبيرًا في مجال العلم ولديه تعليل علمي لكلّ شيء. كان شديد الإعجاب بنفسه، ولا يشعر إطلاقًا بأنه في الخمسين من عمره.

وحين أعلن "لابتيف" عن رغبته في تناول أيّ طعام، نهضا معًا إلى حجرة الطعام بالدور العلوي لتناول العشاء. كانت نقطة ضعف "بانوروف" هي الطعام الجيد، والخدمة الممتازة. تناولا الطعام على صوت الموسيقى، وانحناءة الخدم وهم يتناولون ما يمنحهم من بقشيش ضخم.

بعد العشاء مضى "بانوروف" إلى منزله الآخر، وقد صاحبه "لابتيف" جزءًا من الطريق، ورجع عائدًا إلى البيت، تحت ضوء القمر، هاتفًا بصوتٍ مرتفع "أنا أحبّ!".

عندما عاد إلى البيت، وجد المظلة التي نسيتها "يوليا سيرجيفنا"، فرفعها إلى شفتيه مقبّلًا بحنانٍ شديد، ثم راح يكتب خطابًا إلى صديقه "كوستيا" من موسكو يحكي له فيه تجربته الجديدة مع "يوليا".

(2)

كان نهارًا مشرقًا، شعر فيه الجميع بأنّ صحة "نينا فيودروفنا" ستتحسن. كانت تتمتع بوجه وابتسامة طفل. ورجعت الحياة إلى البيت ثانيةً.

أقيمت صلوات في معظم كنائس المدينة من أجلها، لأنها كانت مشهورة بإحسانها حين تقدم المال ببساطة دون تفكير. وعندما يفكر "آلكسي" في الدفع عنها ترفض لأنها تأخذ منه كلّ شهر 250 روبلًا ومن أخيها "فيودور" بالمثل، فيصحح لها "آلكسي" معلوماتها بأنّه وأخاه ينفق كلٌّ منهما شهريًا ألفين وخمسمائة روبل، وأن من حقها أن تصرف مثلهما. لكن تلك المسألة الحسابية أربكتها. وفي تلك اللحظة سمع صوت الطبيب على السلم، فخرج عبر قاعة الطعام هابطًا إلى شقته بالدور الأرضي. لم يكن يحبّ لقاء الطبيب إلا في وجود ابنته "يوليا سيرجيفنا"، ووجدها فرصة للذهاب إليها حيث ستكون وحدها، فأسرع ملبيًا نداء قلبه.

رأى مجموعة من الأطفال يلعبون الكرة وسط حشائش فناء بيت الطبيب، وكانت "يوليا" واقفةً إلى جوار باب البيت تشاهد المباراة. حيّاها، وحين نظرت إليه تورّدت وجنتاها مثل الصبية المحيطين بها. راح يتأمل بإعجاب شبابها الذي اكتشفه الآن، وعنقها الأبيض السامق، وحين أخبرته أن أباها قد ذهب إلى بيتهم أخبرها أنه جاء من أجلها، بعد أن طلبت منه أخته إرجاع مظلتها التي نسيتها بالأمس. وحين مدت يدها لتتناول المظلة، ضمها إلى صدره فجأة، راجيًا أن تسمح له بالاحتفاظ بها كذكرى

لصداقتهما، فأخبرته أنه يمكنه الاحتفاظ بها، لكنها تراها خالية من أيّة روعة، فأسقط في يده ولم يستطع التحدّث.

وبعد برهة صمت دعته "يوليا" إلى الداخل بعيدًا عن حرارة الشمس، وأسرعت تصعد السلم وثوبها المنقوش بالأزهار يصدر حفيفًا خافتًا، وإذا به يضمّ المظلة مرّة أخرى إلى صدره، وسمع نفسه يهمس برقة بأنها لو وافقت على أن تكون زوجته فسيمنحها كلّ ما يملك. كانت المفاجأة مذهلة أصابتها بالدهشة، فأجابته بأنّ هذا مستحيل، والتمست عذره وهرولت عبر السلم.

تحوّلت حالته النفسية بحدّة كأنّما خبا الضوء من روحه، فأسرع بعيدًا عن المنزل مؤرقًا بالخجل والمذلة. وراح في الطريق يتهكم على عرضه الذي أجراه مثل أيّ تاجر.

وتدريجيًّا تغيّرت حالته النفسية إلى نوع من اللامبالاة، فشكر الله أن انتهى كلّ شيء، بعد أن اكتشف أنه لا سعادة له ولا آمال ولا أحلام. ولم يعد أمامه إلا الاهتمام بسعادة الآخرين، وقبل أن ينتبه سيكون العمر قد تقدم، عندئذٍ يستوي كلّ شيء، ولا يعود يهتم بشيء، بل يمكنه أن يزن الأمور بهدوء وثقة.

تمدد على سريره متهالكًا، وسرعان ما غطّ في سباتٍ عميق.

(3)

تسبب عرض "لابتيف" المفاجئ في خيبة أمل عميقة لـ"يوليا سيرجيفنا"؛ لأنها لم تعرفه سوى معرفة سطحية بعد أن قابلته مصادفةً. لكنها كانت

تعرف أنه ثريّ، أحد ملاك مؤسسة "فيودور لابتيف وأولاده" المعروفة في موسكو، وتعتبره شخصًا جادًّا، شديد الاهتمام بصحّة أخته.

كان الأمر مفاجئًا تمامًا لها، ونتيجة استخدامه كلمة "زوجة"، تحتم عليها أن ترفضه، إضافة إلى كونها لا تحبّه، كما أن مظهره يبدو دائمًا كبائع متجوّل لا يثير أيّ اهتمام.

تزايد قلقها في وحدتها حين اكتشفت أنها لابدّ أن تحادث شخصًا ما حتى تتأكد من أن ما صنعته كان صوابًا. وعلى الرغم من أن أمها ماتت منذ زمن، ولم يكن أبوها ممن يمكن مكالمته في أمرٍ جاد، إلا إنّها وجدت فرصتها معه خلال تناول الشاي، فأخبرته بأن "لابتيف" عرض عليها الزواج اليوم. عبّر الرجل عن سعادته، فأوقفته بقولها إنها رفضته. ارتاح الطبيب لرفضها، لكنه استطرد راجعًا إلى حديثه الذاتي القديم حول حالته وأن الناس يستغلونه ولا يحسنون معاملته، فنهضت معلنة استحالة الحديث معه، وذهبت إلى حجرتها غاضبة. لكنها سرعان ما رجعت متعاطفة معه، وحين جاء موعد ذهابه إلى ناديه، رافقته خلال هبوطه السلم، وأغلقت خلفه الباب.

كانت ليلة عاصفة هوجاء. مرّت "يوليا" بجميع حجرات الدور العلوي، راسمةً علامة الصليب. كان هناك سؤال ظلّ يطاردها عمّا إذا كانت مصيبة في رفضها "لابتيف" لمجرد أن مظهره لا يعجبها. وفكّرت أنها في الحادية والعشرين من عمرها وليس هناك في المدينة رجال مناسبين للزواج، بينما الإنجيل يقول يجب أن تحبّ الزوجة زوجها، وتستفيض الروايات في وصف ذلك.

في تلك الليلة ابتهلت "يوليا" بعمق إلى الأمّ المقدسة لمساعدتها، ثم راحت تتذكر العوانس اللاتي التقت بهن، ورأت أنهن مخلوقات تعسة تحسرن بمرارة لأنهن رفضن عروضًا بالزواج. هل ستؤول إلى نفس المصير؟

بعد أن استلقت في سريرها سمعت صوت جرس الباب، وهو ما سبب لها ارتعاشة مؤلمة. وبعد نصف ساعة تكرر الرنين. خمنت أن الخدم نائمون، لكنها حين توجهت نحو الباب، وجدت الخادمة تخبرها أنها دعوة من مريض.

رجعت "يوليا" إلى حجرتها، متناولة في طريقها أوراق اللعب، وفكرت لو أنها خلطت الأوراق جيّدًا، وكانت الورقة السفلى حمراء، سيكون عليها أن تتزوّج "لابتيف"، أما إذا كانت سوداء فمعناها الرفض. وجدت الورقة السفلى هي العشرة السباتي الحمراء.

أعاد ذلك الهدوء إلى نفسها فمضت إلى النوم، لكن في الصباح رجع الأمر يتأرجح من جديد بين نعم ولا. أرهقها التفكير، لكن ما إن قاربت الساعة الحادية عشرة حتى ارتدت ملابسها ماضية لزيارة "نينا فيودروفنا". كانت في الحقيقة تريد رؤية "لابتيف" ربّما يبدو أفضل في نظرها.

(4)

فوجئ "لابتيف" عندما وجد "يوليا" في غرفة أخته، وسرعان ما راوده ثانية شعور الإذلال الذي عرفه بالأمس، وهو ما عني أنّها لا تحسّ بوجوده، لكن عندما رأى نظرة عينيها الحزينتين عرف أنها تعاني هي الأخرى.

وبعد أقلّ من عشر دقائق استأذنت للانصراف سائلة "لابتيف" أن يوصلها إلى البيت. بدأت بالاعتراف بأنّها كانت قاسية معه، فلم تستطع النوم طوال الليل، بينما عقب هو بأنّه شعر أنّ حياته تسممت، لأنها بصراحة بدونها تصبح بلا معنى.

في البيت رحّب الطبيب بـ"لابتيف" وهو ما جعله يخمّن أنّه علم بعرض الزواج. وبينما كان الحديث يدور بينهما حول شقيقته، راوده شعور بأنها لم تحضره إلى البيت إلا لتخطره بأنها غيّرت رأيها. وحين نهض الطبيب ليبدأ جولاته فكّر "لابتيف" في الانصراف معه لكن "يوليا" رجته ألا يذهب. كانت قد انهارت، لعلمها أنّ هذا الزواج سيتيح لها تغيير حياتها الكئيبة، لذلك فكّرت بأنّ رفض رجل كريم يحبّها لمجرّد أنه لا يعجبها، في الوقت الذي يبدأ فيه شبابها يذوي، وهو ما يعني جنونًا سيعاقبها عليه الله.

وبعد انصراف الأب، اعترفت بأنها بعد تفكير في طلبه قررت قبوله، فقبّلها لكنه شعر بافتقاد الحب الحقيقي، ففكر أن يفرّ بعيدًا، لكنها كانت تقف قريبًا منه، فأقبل عليها يبثها لواعج حبّه وهو يقبّل عنقها ووجنتيها وشعرها.

تباعدا قليلًا، وسرعان ما أخبرته كم هي تعيسة. وحين سألها عن السبب، وعدته أن تكون زوجة مخلصة، ثم رجته أن يأتي في المساء.

حين أخبر أخته بعد أن قرأ لها قليلًا من رواية تاريخية، بأنه خطب "يوليا سيرجيفنا"، أزعجها الخبر لأنّها كانت تعتقد أنه سيتزوّج فتاة من موسكو،

من بيئتهم تكون أكثر بساطة. وأخبرته أنّ زوجها لم يحبّها أبدًا لكن بمكنته أن يرى كيف تعيش. وانتهت إلى أن أيّة امرأة يمكنها أن تحبّه لأنّه كريم.

بدأ "لابتيف" يمارس دوره باعتباره عريس المستقبل، فكان يزور "يوليا" ثلاث أو أربع مرّات يوميًّا حتى لم يعد يتوفر له من الوقت ما يريح به "ساشا" من قراءة الروايات التاريخية لأمها. كما استشف من شكل الستار الذي يخفي سرير "يوليا" والبسط التي تغطي أرضية حجرتها بأنها ذات طبيعة متحفظة، ترغب في حياة منعزلة.

لكن سرعان ما أدرك خلال الأسابيع السابقة للزواج زيف موقفه، ففي الوقت الذي كان حبّه يزداد يومًا بعد يوم ظلت هناك حقيقة ثابتة بأنّها لا تبادله الحبّ، وهو ما كان يدفعه إلى اليأس، حتى لم يعد بمقدوره النوم ليظلّ مستلقيًا في السرير يفكّر. ولم يكن يعرف ما هو موقف أبيه أو أخيه "جورج" من هذا الزواج، خاصةً وأن رسائله الأخيرة طال فيها حديثه عن الصحة الجيّدة، وتأثير المرض على العقل، لكنه لم يشر بكلمة إلى المؤسسة أو إلى موسكو.

وأخيرًا تزوّجا في كنيسة بطرس وبولس، وحين زارا "نينا" انفعلت وهي توصيها بأنّها عندما تموت فإنّ عليها أن تأخذ الفتاتين الصغيرتين للحياة معها.

ورحلا في نفس اليوم إلى موسكو، وسافرا في مقصورة خاصة وهما تعيسان. وراحت أسئلة تراوده حول موسكو والحياة فيها وعمّا إذا كانت ستعجب "يوليا". وانتهى بأن تطلع إلى زوجته التي لا تحبّه، متسائلًا: "لماذا حدث ما حدث؟".

(5)

تركّز نشاط أسرة "لابتيف" في موسكو في مجال تجارة الأقمشة وبعض الأنشطة المشابهة، وتقدر مبيعاتهم في السنة بمليوني روبل، بينما مقدار صافي الربح لا يعرفه إلا الأبّ العجوز، وإن قدّره ابناه والبائعون بحوالي ثلاثمائة ألف روبل، كما يضيفون بأنه كان يمكن أن يرتفع بمقدار مائة ألف أخرى لو توقف عن التجارة بالأجل التي أصبح كثير منها ميئوسًا من تحصيلها.

كان المتجر يقع في سوق المدينة، ويطلق عليه المخزن، ويتكون من طابقين سفلي للعاملين وعلوي للإدارة. وقد جاء "لابتيف" ظهر اليوم التالي لوصوله إلى موسكو. كان الجميع مشغولين بأعمالهم فلم ينتبه إليه أحد. وفي الدور العلوي قابل أخاه "فيودور" الذي يعتقد كثيرون أنهما توأمان للشبه الكبير بينهما. ذكّره هذا التشابه بحقيقة مظهره، ولذلك حين رأى أخاه قصير القامة، ذا شعر خفيف، تساءل **"هل أبدو هكذا حقًّا؟"**.

قبّل "فيودور" شقيقه وشدّ على يده، قائلًا بأنه ظلّ ينتظره منذ أن كتب إليه أنه سيتزوّج. لقد انقضى نصف عام منذ أن افترقا. ثم سأله عن حال "نينا" فأخبره بأنه سيئ جدًّا. فردد "فيودور" بأنها إرادة الله. وطلب منه أن يحدثه عن زوجته لأنها تعتبر شقيقته الصغرى الآن. وفي الوقت الذي رأى "لابتيف" ظهر أبيه "فيودور ستبانيش" جالسًا على مقعد صغير أمام منصّة بيع يتحاور مع عميل، كان "فيودور" ينبه أباه إلى عودة "آلكسي". بدا الأب

في صحة جيدة رغم اقترابه من الثمانين، لكنه منذ أن ضعف بصره لم يعد يدير المتجر بل اكتفى بالثرثرة مع العملاء واحتساء الشاي.

انحنى "لابتيف" مقبلًا يد أبيه، الذي بارك زواجه وهنأه. لكن كان كلّ شيء هنا يذكره بتلك الأيام التي كان يجلد فيها ويعيش على الخبز والماء. ويكفي وجوده في المتجر لأيّة فترة ليشعر بأنّه معرّض للزجر والضرب فوق أذنه. وقد تولد لديه يقين بأنه رغم غيابه لمدّة ستة أشهر، فإنه لم يلحظ أيّ تغيير في المكان للأفضل، لذلك أحسّ "لابتيف" بالضيق وفكّر في العودة إلى البيت، لكنه اضطر للبقاء ساعتين حفاظًا على المظاهر. وقبل أن يغادر أخبر "فيودور" بأنه سيحضر زوجته إلى "بياتنيتسكايا"، لكنه حذره بأن والده لو تفوّه بأية كلمة نابية فسيرحل فورًا، فتنهد "فيودور" معلنًا بأنه لم يتغيّر وإن كان يجب أن يداعب العجوز قليلًا.

(6)

كان "لابتيف" خائفًا مما يمكن أن يفعله أبوه "فيودور ستبانيتش". وكانت "يوليا" قد توصلت بعد ليليتين في منزل زوجها إلى أن زواجهما لم يكن مجرّد خطأ بل كارثة، لكن موسكو هي التي جعلت الأمر محتملًا؛ فقد سحرتها موسكو، أحبّت شوارعها وبيوتها وكنائسها. ولو كان الأمر بيدها لركبت إحدى تلك الزحافات التي تجرّها خيول أصيلة، ولظلت بها منذ الصباح حتى المساء.

في صباح اليوم التالي، ذهب "لابتيف" مع زوجته "يوليا" إلى منزل الأسرة في شارع "بياتنيتسكايا". كانوا جميعًا في استقبالهما. رحّب بها "فيودور" ترحيبًا حارًّا باعتبارها الأخت الصغرى. ثم قدمها إلى أبيهم، رأس العائلة، الذي كان واقفًا في القاعة الواسعة أمام مائدة عامرة بأطايب الطعام معدة للصلاة، وإلى جواره قسّ وشماس في ملابسهما الكهنوتية. وتمت مراسم احتفال كبير بكلّ جديّة. ثم أعلن الأب العجوز لـ"يوليا" أن هذا بيتها، وأنه كوّن ثروة ينفقها أطفاله فهو لم يعد في حاجة إلى شيء، ودعاها إلى أن يعيشا معهما في بيت واحد لتساعده.

راحت تهاني العاملين تنهال عليهما، ثم أقبل الجميع على تناول الطعام. وفي طريق العودة كان "لابتيف" سعيدًا أنّ مخاوفه لم يكن هناك أيّ أساس لها. وحكى لها جزءًا من تاريخ العجوز الذي تزوّج أمه وهو في الخامسة والأربعين، بينما كانت في السابعة عشرة، لذلك كانت تفزع منه. أنجبت نينا أولًا حين كانت صحتها جيّدة، أما أنا وفيودور فقد ولدتنا بعد أن أنهكها الفزع الدائم. وراح "لابتيف" يتذكّر حين كان والده يعلمه أو بمعنى أصحّ يضربه ولم يكن قد بلغ الخامسة من عمره. كان يجلده، يشدّ أذنه، يضربه على رأسه، فكان يصحو كلّ يوم متسائلًا عمّا إذا كان أبوه سيضربه هذا اليوم أم لا؟ وحين بلغ الثامنة أخذه إلى المخزن كصبي صغير عادي، فكان العاملون يضربونه كلّ يوم تقريبًا، وحين التحق بالمدرسة كانت الدروس تستمر حتى موعد الغداء، ويقضي بقية اليوم بالمخزن، ودام هذا النظام حتى بلغ الثانية والعشرين حين ذهب إلى الجامعة حيث قابل "بارتسيف" الذي أقنعه بالرحيل عن المنزل. وكان ذلك شيئًا حسنًا.

أضاف "لابتيف" بسعادة، "والآن سنزور "بارتسيف"، إنه صديق رائع، وسيسعده أن يرانا".

(7)

أثناء حفل سيمفوني في موسكو حضرته زوجته في الصفوف الأولى مع "كوستيا" المحامي اليتيم الذي تربى في كنف أسرتهم، فوجئ "لابتيف" بالشخصية الوحيدة التي لم يكن يتمنى رؤيتها: محبوبته السابقة، "بولينا نيكولايفنا"، عندما التقت نظراتهما خجل من نفسه وتذكّر أنه لم يكتب لها مجرّد كلمة يوضح فيها ما حدث. سلمت عليه بحرارة، ثم انصرفت بعد أن طلبت أن يقضي الليلة معها، واضطر هو إلى الموافقة وإخطار زوجته بأنه سيلحق بها في البيت.

كان قد التقى بها لأول مرّة في بيت صديقه "بارتسيف"، حين كانت تعطيه دروسًا في الموسيقى. جاوزت الثلاثين من عمرها. بدت نحيلة، لا تستطيع التحدّث بسهولة، ومثل مراهقة شابة كانت تطلب منه إطفاء كلّ الشموع قبل أن تسمح له بتقبيلها. تزوّجت مدرسًا لكنها انفصلت عنه منذ سنوات. شديدة الاعتزاز بشخصيتها والاعتماد على ذاتها، تكفل معيشتها بإعطاء بعض دروس الموسيقى والعزف مع بعض الفرق الموسيقية، لكنها ترفض إنفاق النقود على ملابسها لذلك ترتدي ملابسها بلا اهتمام فيبدو عليها الإهمال.

لامته على زوجته التي اختارها فهي مخلوقة غبية، لقد أحبته لعقله وروحه أمّا هذه فلا تريد سوى أمواله. كان حبّها فعلًا نقيًّا خالصًا، إذ حتى

بعد أن عاشا معًا استمرت في إعطاء الدروس كما كانت تفعل من قبل، وهي التي علمته استيعاب الموسيقى وحبّها.

وبعد فاصل لوم وإغماء منها لضياع علاقتهما، أوضح لها أنه شديد التعاسة لأنّه ارتكب خطأ رهيبًا لم يعد ممكنًا إصلاحه، فقد تزوّج بحماقة دون حب، كما صار واضحًا أنّ زوجته قد عرفت خطأها لدرجة أنها أصبحت تخجل في صحبته من نفسها.

وفي طريق العودة إلى بيته، راح يلوم نفسه لماذا لم يتزوج تلك المرأة التي أحبته، وألم يكن ممكنًا أن يحقق السعادة والحياة الآمنة لهذه التي تعمل بجدّ وإخلاص؟ والآن، وبعد مضي ثلاثة أشهر على شهر العسل فإنّه لا يعرف حقيقة زوجته، إذ إنها تكتب إلى صديقاتها وإلى أبيها رسائل من خمس صفحات، لكنها لا تستطيع أن تتحدث معه إلا عن الجو أو مواعيد الطعام. وكان يهينها حين ينام معها في الفراش بأنه يأخذ ما اشتراه، لكن ذلك كان رهيبًا، فقط لو لم تكن صغيرة الحجم، شديدة التقوى، تتمتع بعينين بريئتين إلى أقصى حدّ.

(8)

تدهورت صحة "نينا فيودورفنا" بسرعة بينما كانت هي الوحيدة التي كانت تعتقد أنّها تتحسن، حتى أصبحت في النهاية شديدة الضعف كثيرة الثرثرة. ثم نادت "ساشا" وأخبرتها أنها ليست على ما يرام، ولا تقوى على التنفس، وطلبت منها أن يرسل أحدهم لإحضار أبيها. لم تجد الصبية في

البيت أحدًا بعد أن خرج الخدم، سوى أختها الصغرى "ليدا" نائمة في حجرة الطعام، فاندفعت إلى الخارج، وجدت الممرضة هناك تراقب زحافات الجليد، فأخبرتها أنّ أمها تموت وأنه يجب إحضار أبيها. كانت كثيرًا ما سمعت من الخدم أن أباها له زوجة أخرى وابنتان يعيشون في شارع "بازارنيا". فجرت إلى هناك وهي تسأل حتى أوصلتها سيدة طيّبة إلى العنوان. وحين رآها أبوها فهم فورًا فمضى معها إلى بيتهم حيث شاهد الموقف على حقيقته فتخضّلت عيناه بالدموع. ثم وصل القس والطبيب، الذي همس بحزن أنها لم تتجاوز الأربعين. وطلب الزوج المكلوم "بانوروف" من الطبيب أن يكتب برقية إلى موسكو نيابةً عنه يخطرهم فيها بموت "نينا" في الثامنة مساءً، وأن المنزل سيباع سدادًا للديون.

(9)

منذ ستة أسابيع، بعد وفاة "نينا"، أحضر "لابتيف" ابنتي أخته "شاسا" و"ليدا" كي تعيشا معه في موسكو، ثم جلب لهما مدرسًا وقسًّا ثلاث مرات أسبوعيًّا. كانت "شاسا" تدرس العهد الجديد، بينما كانت ليدا تدرس العهد القديم. وحين حاول "لابتيف" أن يسألها عن اسمي ابني آدم وحواء أجابت مخطئة في اسم قابيل فصحح لها الاسم فبكت وسقطت دمعتها على الكتاب، فاستعان "لابتيف" بصديقه "كوستيا" ليساعده حتى لا يبكي هو أيضًا.

جاءت "يوليا سيرجيفنا" من البيت الكبير، وأخبرت الفتاتين أن أباهما أرسل برقية بوصوله اليوم، واحتضنتهما، وصحبتهما في نزهة فرّجت عنهما كثيرًا.

دارت أحاديث كثيرة على الغداء، كان منها ما قاله "لابتيف" من أن أخاه "فيودور" فاجأهم اليوم بأنهم يجب أن يعلموا متى تكمل المؤسسة قرنًا من عمرها حتى يقدموا طلبًا لترفيعهم إلى طبقة النبلاء.

وحتى المساء لم يكن الأب "بانوروف" قد وصل، بينما ظلت الفتاتان قلقتين. كان كلّ شيء يثير فزعهما لأنهما لم يستطيعا أن يفهما كيف يمكن لأيّ شخص أن يتكلم أو يضحك وأمهما ميتة.

وقرب العاشرة مساءً، دقّ جرس الباب، وحين سمعت الصغيرتان صوت أبيهما صرختا وأسرعتا إلى لقائه وهما تنتحبان بشدة. كانتا تضحكان وتبكيان في نفس الوقت. بدا الأب وسيمًا، مترعًا بالحبّ. ثم أعلن في حجرة المكتب أنه لن يبقى طويلًا؛ لأنه سيسافر إلى بطرسبورج غدًا بعد أن وعدوه بوظيفة أخرى.

(10)

استعاضت "يوليا" عن الخروج مع "لابتيف" بالخروج مع أصدقائه، خاصةً "بارتسيف" و"كيش"، و"كوستيا". وكان هناك من ناحية أخرى تطور يحدث لـ"فيودور"، وهو ما لمسه "لابتيف" حين حدثه عن أهمية أن يرشح نفسه لمجلس المدينة، وبالتدريج يمكن أن يصبح مستشارًا ثم نائبًا للمحافظ. كان "لابتيف" يعرف أن "فيودور" كان يتمنى كلّ تلك الأشياء لنفسه، خاصةً بعد أن تخرج هو و"فيودور"، و"بارتسيف" من قسم اللغويات. لم يستطع أن يعقب على كلمات أخيه، وحلّ صمت.

احتدمت المناقشة بين الأصدقاء في المساء، حتى اعترف "لابتيف" بأن أمواله لم تنفعه، لم تجعله أكثر سعادة، فقد كانت طفولته عبودية طوال الوقت، ولم تنقذه تلك الأموال من الجلد، كما لم تساعد "نينا" حين مرضت وماتت. ولو لم يكن محبوبًا فلن يمكن لأيّة قوة أن تجبر أيّ إنسان أن يحبه.

ثم قرر الأصدقاء أن يقوموا مع زوجته "يوليا" بنزهة إلى خارج المدينة، ولم يدعوا "لابتيف" إلى مصاحبتهم؛ لأنه لم يكن في العادة يخرج معهم. ورغم هذا وجد الموقف سخيفًا جدًّا حتى كاد يبكي. كم تمنى لو تخونه زوجته، وأن يضبطها مع شخص ما ثم يتجرع السم وينهي هذا الكابوس الرهيب. وأمضى معظم ليلته في الخارج وحيدًا، وعندما وجد زوجته "يوليا" في السرير، اقترب منها موضحًا أنه يفهم احتقارها وكراهيتها لكنه يطلب الاحترام أمام الغرباء على الأقل، فاعتذرت عن ذلك.

وقف صامتًا، وكانت تشعر بالذنب وترتعش. وأخبرته كم تعاني، فأخبرها بأنها زوجته منذ ستة أشهر، ومع ذلك فليس في قلبها شعاع حبّ نحوه، فلماذا تزوجته؟

واستطرد بعد فترة بأنها الأموال الملعونة، لكنها رغم انكماشها للإهانة، أجابت بأنها لم تفكر في الأموال بل كلّ ما في الأمر أنها اعتقدت بأنها تخطئ لو رفضته. وراحت تنتحب بحرارة، فأدرك كم تعاني، فردد وهو يتعذب بأن كلّ ما يطلبه هو مجرد شعاع من الحب. لكنها استمرت في بكائها، وفجأة داخله حزن من أجلها.

وفي الصباح كان كلٌّ منهما مرتبكًا لا يدري ما يفعل. وحين حضر "باناروف" ليودعهما، شعرت "يوليا" بحنين مفاجئ لمدينتها، وقالت لنفسها: "ما أروع أن يهرب الإنسان من هذا الوضع المحرج وهذا الإحساس المستمر بالذنب"، وسرعان ما قررت أن تسافر مع "باناروف" لتمضي أسبوعين أو ثلاثة مع أبيها.

(11)

حجز كلٌّ من "يوليا سيرجيفنا" و"بانوروف" مقصورة وحدهما. راح يتحدّث عن نفسه وأنه يستحق وظيفة جيّدة نتيجة خدمته الطبّية لبلاده ولأنه أمين وشريف، لكنه ظلّ عاجزًا عن تحقيق النقل إلى أيّة مدينة أخرى.

وسرعان ما تحوّل إليها متسائلًا عن مبرر هذه الزيارة المفاجئة لأبيها، فردّت بأنّه مجرّد سوء تفاهم بسيط مع زوجها. فكرر على مسامعها بأنّ جميع أسرة "لاييتف" هكذا وخاصةً "فيودور"، ثم فاجأها بسؤال عمّا إذا كان لها عشيق، فاستغربت سؤاله. وبعد أن هبطا في إحدى المحطات الكبيرة وتعشيا معًا في مطعم المحطة، رجعا إلى مقصورتهما، وجلس "بانوروف" إلى جوار "يوليا" معبّرًا عن إعجابه بها، ولو أن هذا اللقاء حدث منذ خمس سنوات لانضمّ إلى موكب المعجبين بها لكنه مع الأسف أصبح عليلًا، ثم وضع ذراعه حول خصرها فشهقت طالبةً منه الابتعاد عنها، لكنه كان كلما قاومت امرأة اعتبر ذلك دلالة على قرب الفوز بها. وعليه فقد أمسكها ثانيةً بقوة وراح يقبّلها. لكنها بعد أن تخلصت من فزعها بدأت تضحك، وهو يكرر بأن هذا هو كلّ ما يمكن أن تنتظريه من رجل عليل.

كان ما يجري أمامها سخيفًا وغريبًا، لكنها رأته مسليًا، وداخلتها رغبة في العبث، فوقفت على كرسي وهي تغني بصوت خافت، ثم أخذت علبة حلوى من فوق الرف، وقذفته بقطعة شيكولاتة سرعان ما التقطها، فقذفته بأخرى فتناولها أيضًا وحشرها في فمه. وفي النهاية قدمت إليه العلبة، فالتهم "باناروف" العلبة كلها.

وبعد ذلك أعلن أنه حان موعد نوم الرجل العليل، وأخرج رداءً حريريًا ووسادة وغطى نفسه بالرداء، وبعد بضع دقائق كان يغطّ في نومٍ عميق. وسرعان ما تمددت "يوليا" هي الأخرى دون أن تشعر بالخجل وراحت في النوم.

شقت "يوليا" طريقها، في صباح اليوم التالي، من المحطة إلى البلدة. رأت الشوارع مهجورة والبيوت صغيرة، ولاحظت لافتة "للبيع" معلقة على بيت "نينا فيودروفنا".

وصلت أخيرًا إلى بيتها، ففتحت لها الخادمة، وبينما كانت تصعد تذكّرت أنه في هذا المكان طلب منها "لابتيف" الزواج. ودار حديث بينها وبين أبيها، سرعان ما تحوّل كالعادة إلى حوار ذاتي يعيش العجوز بين أطلاله، بأنه حمار عجوز يمتطيه الجميع. عندئذٍ ولّى شعور "يوليا" بأنها الفرحة الوحيدة في حياة هذا العجوز، فأحسّت بنوع من الغربة في بيتها وبلدتها، ولم تعد لديها أيّة رغبة في الخروج أو زيارة أحد.

وفي المساء ارتدت أفضل ملابسها، وذهبت لحضور الصلاة، فلم تجد في الكنيسة سوى قومًا بسطاء، ولم يُحدث معطفها الرائع من الفراء أيّ أثر.

آوت في تلك الليلة مبكرًا إلى فراشها، لكنها لم تنم لفترة طويلة، وحلمت ببعض الصور وبموكب جنازة. لكنها استيقظت من نومها على شخص يطرق باب البيت، وحين فتحته الخادمة وجدت "يوليا" برقية لها من موسكو من "بارتسيف" و"كوتشيفوا": "أخبراها فيها بأنهما كانا يشربان في صحتها"، فانفجرت ضاحكة شاعرة بخفة ومرح، وسرعان ما اغتسلت وارتدت ملابسها، وأمضت بقية الليلة تحزم ملابسها استعدادًا للسفر إلى موسكو.

(12)

ذهبت أسرة "لابتيف" كلها، في عيد الفصح، كعادة أهل موسكو إلى زيارة معرض تصوير في مدرسة الفنون.

كان "لابتيف" يعي أسماء جميع الفنانين المشاهير، وكان يحرص على الذهاب إلى كلّ معرض باستمرار. وربّما رسم بعض المناظر الطبيعية بنفسه خلال إجازاته الصيفية بالريف، فقد كان يعتقد أنه يتمتع بموهبة كبيرة، وأنه لو درس الفن لأمكنه أن يصبح فنانًا مشهورًا. وحين كان يسافر إلى الخارج كان يحرص على المرور بدور التحف، ويفحص بحركات خبير، ثم يشتري في النهاية شيئًا يدفع فيه ما يطلبه البائع، ليظلّ في لفافته في صندوق العربة حتى يختفي دون أن يعلم حقيقةً أين ذهب. وكثير من اللوحات في بيته من الحجم الكبير، لكن ثبت فيما بعد أن أغلبها نسخ مزيفة، والشيء الجدير بالذكر أنه في معارض الفن، رغم حيائه الشديد، كان يصبح جريئًا واثقًا بنفسه بصورة متميزة.

مضت الحياة بـ"يوليا" رتيبة يومًا بعد آخر دون شيء تتطلع إليه. وفي مايو ارتحلت أسرة "لابتيف" إلى بيتها الريفي في "سوكولينكي"، في الوقت الذي أصبحت فيه "يوليا" حاملًا.

(13)

انقضى أكثر من عام، وأنجبت "يوليا" بنتًا أطلقوا عليها "أولجا"، راحت تحدث "بارتسيف" و"كويتسا" عنها.

وعندما سألها "بارتسيف" عمّن تحبّ أكثر زوجها أم طفلتها، أجابت بقولها إنها لم يحدث أن أحبت زوجها كثيرًا. فهي لم تكن تحبه حين تزوجته، لكونها شديدة الحمق.

رجع "بارتسيف" يسألها عمّا يربطها بزوجها إذا كانت لا تحبه، ولماذا تعيش معه، فأجابت بأنها العادة كما تعتقد، فهي تحترمه، وتفتقده حين يغيب، كما أنه رجل ذكي وشريف، وطيّب، وكريم.

وإذا بكويستا يفند قولها بأنه يعطيها نقودًا كما تريد، هذا ما يستطيعه، لكن عندما يتطلب الأمر قليلًا من الحزم يدخل قوقعته. إن أمثال آلكسي قوم رائعون، لكنهم لا يساوون شيئًا كمقاتلين.

وفي مرة أخرى تناولوا الشاي في الحديقة الصغيرة، وأمكن لكلٍّ من "بارتسيف" و"كوتشيفوا" أن يريا في وجه "يوليا" نوعًا من الرضا السعيد، وأنها قانعة بما لديها، وشعرا وهما ينظران إليها بالوئام مع العالم.

وبعد أن أمضيا السهرة إلى وقت متأخر في بيت "آلكسي"، طلبت "يوليا" من "بارتسليف" أن يكتب لهم مسرحية تاريخية، فوافق بعد تردد، ثم انصرفا وسط ظلام دامس.

مرّ "لابتيف" على "بارتسليف" عدة دقائق معدودة، أخبره خلالها بأن "ليدا" قد مرضت بالدفتريا وأن "يوليا سيرجيفنا" والطفلة الصغيرة قد أصيبتا بالعدوى منها. وبعد خمسة أيام تالية، وصلت الأخبار بأن "ليدا" و"يوليا" تماثلتا للشفاء، لكن الطفلة ماتت، فأسرعت أسرة "لابتيف" بالعودة.

(14)

مضت أيام طويلة بالنسبة لـ"لابتيف" في الحداد والتفكير في الطفلة الراحلة، ومواساة الزوجة بكلّ أنواع العبارات المألوفة. وصار لا يذهب إلى المخزن إلا نادرًا، وتفرّغ للأعمال الإنسانية، وفكر أخيرًا في السفر للخارج لدراسة تنظيم الفنادق بعد أن هيمنت عليه الفكرة تمامًا.

فجأة أخبره "بيوتر" بزيارة "بولينا"، التي أوضحت سبب الزيارة بأنّ هناك خمسة طلاب من معارفها عجزوا عن دفع رسوم تعليمهم، ولكونها تعرف أن ثروته تسمح له بتأدية هذه الخدمة، فكرت في زيارته.

رحّب بمساعدتها وتناول منها قائمة أسمائهم، عندئذٍ سمعا حركة وراء الباب، فخمنت "بولينا" أنها زوجته تتجسس عليهما، فردّ تلك الإهانة فورًا عن "يوليا" بأنّها في الجانب الآخر من البيت، ثم أوضح لـ"بولينا" أن

طفلتها ماتت مؤخرًا لذلك هي حزينة مرتبكة، فردّت "بولينا" سوف ترزق بعشرة أطفال آخرين، فالإنسان لا يحتاج إلى أيّ قدرٍ من الذكاء لينجب أطفالًا.

تذكّر "لابتيف" أنه سمع كلامًا شبيهًا منذ زمنٍ بعيد، فاستعاد أيام العزوبية الحلوة حين كان شابًّا متاحًا أمامه أن يفعل أيّ شيء، خاصةً عندما لم يكن هناك حبّ لزوجته ولا ذكريات عن طفلته.

انتظرته "بولينا" خارج الجامعة، وحين سلمها الإيصالات عرف منها أنها ستمضي إلى بيت "بارتسيف"، فقرر أن يذهب معها فاشترطت ألا يزعجه فهو يعمل، فوافق متتبعًا إيّاها، معجبًا بقوتها الداخلية رغم أنها ليست جميلة إلا أنها تتمتع بسحرٍ خاص.

لم يكن "بارتسيف" في البيت، فبدأت هي تدريباتها أمام المعزف لمدة ساعتين، ثم خرجت لإعطاء دروسها.

قرأ "لابتيف" تكملة إحدى الروايات، وبعد فترة انتظار وصل "بارتسيف"، فتناولا غداءهما معًا. تمدد "لابتيف" بعد الغداء على الأريكة قائلًا إنه لابد أنّه تقدم في العمر؛ فمنذ توفيت شقيقته "نينا" وهو يفكر كثيرًا في الموت.

تحدثا عن الموت وخلود الروح، ثم أوضح "بارتسيف" أنه لا يريد أن يموت، فهو يعتبر الموت نهاية كلّ شيء، وهو يريد أن يعيش. أمّا "لابتيف" فأوضح أنه يجد نفسه ممزقًا بين اليأس الحالك واللامبالاة، لأنه خجول

وضميره جبان وليست لديه قدرة على التكيّف مع الحياة حتى يصبح سيد مصيره، بينما أقرّ "بارتسيف" بتفائله بالمستقبل وبالجيل الجديد، لكن يظلّ كل ما يهدف إليه هو أن يعيش، ويتطلع، ويحلم، ولا يفوته شيء، فالحياة قصيرة جدًّا، ويجب استغلالها بأقصى ما نستطيع.

وتطوّرت العلاقة، كان "لابتيف" يزور صديقه كلّ يوم ليبدآن في النهاية حوارًا لا ينتهي إلا قرب منتصف الليل، فينصرف "بارتيف" سعيدًا مسرورًا. لكن "بولينا" فاجأته ذات يوم أثناء غياب "بارتسيف" وطلبت منه بحزم أن يهجر البيت لأنّه يتسبب في تأخير "بارتسيف" عن عمله. وكانت حاسمة في موقفها فانصرف حزينًا، وبعد فترة زاره "بارتسيف" وأخبره بأن "بولينا نيكولاييفنا" جاءت كي تعيش معه. ثم أقرّ بحقيقة علاقتهما وأنه من المؤكد أنهما لا يحبّان أحدهما الآخر، لكنه لا يعتقد أن هذا يهمّ. وحاول أن يعلل فعله بأنها أكبر منه بثلاث سنوات، بمعنى أنه قد فات الوقت الذي يمكن أن يفكر فيه بحبّ حقيقي. لكنه رغم هذا يشعر بأنه حرم من شيءٍ ما، فالإنسان لا يقنع أبدًا بما لديه.

كم أحزن "بارتيف" أن يعتقد أنه لا توجد علاقة ثابتة مستمرة، وغضب من "بولينا" لذهابها إلى "بارتسيف"، وغضب من نفسه لأنه لم يعد يحبّ زوجته كما كان يحبّها ذات يوم.

(15)

اندمج "لابتيف" و"يوليا" في القراءة، كانا لم يتبادلا كلمة منذ الصباح. بدا أنه ليس هناك ما يتحدثان عنه. وتساءل "لابتيف" عن الفرق بين أن

يتزوّج إنسان عن حبّ أو بدون حبّ. كم أصبحت بعيدة تلك الأيام التي عرف فيها القلق والغيرة والعذاب، لقد ظلّ بالخارج منذ ذلك الحين وقد أعجبته انجلترا وقرر العودة إليها.

كما اعتادت "يوليا" حزنها، ولم تنسحب لتبكي، لكنها لم تعد تخرج في أيّ جولات، وقلما كانت تصرف نقودًا على نفسها، ورجعت إلى تلك الميزانية القديمة التي كانت تنفقها خلال حياتها مع أبيها.

ومن ناحية أخرى ضعف نظر العجوز "فيودور"، وتنبأ الطبيب بأنه سيفقد بصره تمامًا. أما الأخ "فيودور" فكفّ عن الذهاب إلى المخزن وراح يكتب في البيت. ونجح "بانوروف" في نقل نفسه إلى مدينة أخرى، ورقي إلى وظيفة مستشار، لكن زوجته لجأت إلى "لابتيف" لأنه يستولي لنفسه على النقود التي يرسلها إليها لرعاية البنتين، ونظرًا لأنها تحب زوجها فإنها ترجو "لابتيف" أن يحثه على أن يصطحبها معه، فوعدها خيرًا، ومنحها مائة روبل.

وقبيل موعد تناول الشاي وصل "فيودور"، وبعد أن ارتاح على كرسي في حجرة المكتب، أخبر "لابتيف" بأنه كتب مقالًا ويريده أن يقرأه ليذكر له رأيه الصريح. كان عنوان المقالة "الروح الروسية"، وكانت لغتها تفتقد الموهبة، ففند "لابتيف" جوانب الضعف فيها بصراحة قاسية. وحين أخبره أخوه بأنه يفكر في نشرها في كتيب صغير، عقب بأنّ هذا شأنه.

ساد الصمت بينهما عدّة دقائق. كان "فيودور" حزينًا لأنهما لا يشتركان في نفس الآراء، وإن كانا عضوان في أسرة تجارية مرموقة، فانفجر "لابتيف"

متسائلًا حول تلك الأسرة المرموقة، فقد كان أصحاب الأرض يجلدون جدّهم. وجلد الجد الأب، وجلدني وجلدك الأب. ثم أخبره بأنه ظلّ ثلاث سنوات يثرثر في كل مكان كالمبشر، وانتهى إلى كتابة هذا المقال.

دخلت "يوليا" في تلك اللحظة، لكن "لابتيف" استطرد موضحًا أن أسرته أنشأت مشروعًا تجاريًا يساوي ملايين، حيث تصادف أن رجلًا دون أيّ ذكاء أو مواهب أصبح صاحب متجر. راح يبيع بضائعه دون أي نظام أو هدف، فجمع ثروة دون جهد. وقضى حياته كلها في العمل الذي يحبه لأنه يتيح له التحكم في موظفيه وخداع عملائه.

عندئذٍ تدخل "فيودور" متسائلًا كيف أصبح يحتقر عملهم مع أن حياته قائمة على أرباحه؟ فاعترف "لابتيف" بصراحة بأنه لو كان لديه أيّ مقدار من العزيمة والشجاعة لأطاح بهذا الدخل منذ زمنٍ بعيد وذهب ليكسب حياته بنفسه، لكنهم سلبوه العزيمة والشجاعة في المخزن، ولذلك ينتمي إليهم.

نظر فيودور إلى ساعته، ثم بادر بالاستئذان، لكنه طلب تناول جرعة ماء قبل أن ينصرف، فلما أعطاه "لابتيف" الكوب، سمع صوت طحن ثم نحيب، وسقط الماء على معطفه. لم يكن "لابتيف" قد شاهد رجلًا يبكي من قبل، ما بالك لو كان هذا الرجل هو أخاه فيودور؟

مدداه على الأريكة، فقال بأنه بائس، بل شديد التعاسة، لكنه ظلّ يخفي ذلك طوال الوقت. تعاطف معه "لابتيف"، وأوصله إلى بيته، ورجاه أن يأتي في الغد للغداء معًا.

وجد "لابتيف" زوجته في حالة اضطراب عصبي عند عودته إلى البيت. توسلت إليه بألا يتركها، واستفسرت منه عن السبب في أنها لم تعد تصلي.

وأخيرًا، استغرقت قرب الصباح في نومٍ قلق، وظلّ "لابتيف" جالسًا إلى جوارها ممسكًا بيدها. واستمرّ يحسّ بالإرهاق طوال اليوم التالي، وإن استمرّ يتجوّل في البيت بلا هدف.

(16)

شخَّص الأطباء حالة "فيودور" بأنها اضطراب عقلي. لم يكن "لابتيف" يعرف ما يجري في المخزن الذي بدا كئيبًا في نظره دون العجوز و"فيودور". وعندما كانت زوجته تحثه كلّ يوم على زيارة المخزن والبيت، لم يكن يجيب، أو ربّما تلعثم في الإجابة حول اضطراب طفولته، وأنه لا يستطيع أن يعفو عن أبيه بسبب الماضي..

هكذا مضت "يوليا" يوم أحد بنفسها إلى المخزن في الـ"بياتنيتسكايا"، فوجدت العجوز في نفس القاعة التي جرى استقبالها فيها غداة وصولها، كان يجلس ساكنًا ويطرف بعينيه الضريرتين. قدمت له نفسها وأخبرته أنها جاءت لتراه. ثم قبّلت يده، فتحسس وجهها كما لو ليتأكد أنها هي، ثم رسم علامة الصليب، وشكرها موضحًا أنه سوف يصبح أعمى، و"فيودور" مريض، وليس هناك من يراقب العمل. ثم تساءل مندهشًا عمّا حدث لـ"فيودور" لأنه لم يمرض طوال حياته. وسرعان ما رجع العجوز إلى دورة الفخر بنفسه.

في تلك الأثناء أعدت المائدة، فدعاها لتناول الطعام معه، فأخبرته بأنّها ستزوره غدًا مع حفيدتيه "ساشا" و"ليدا"، فرفض رؤيتهما بحجة أنّهما غير شرعيتين، لأنّه لم يبارك زواج "نينا"، فطالبته بالعفو، فرفض بمنطق أنه لو بدأتِ تعفين عن الجميع فسوف تفلسين خلال ثلاث سنوات.

ونظرًا لكونه تعامل بلامبالاة بكل ما طرحته من أسانيد مقنعة، وإزاء إصرارها، وافق على أن تُحضر الطفلتين.

كان هناك جوّ عام من الإهمال يحيط بالعجوز والمخزن والبيت في "بياتنيتسكايا"، وأحسّت "يوليا" بالخجل من نفسها ومن زوجها، فأخبرته أنها ستحضر في اليوم التالي دون تأخير.

تجوّلت في البيت، محاولةً أن تنظم بعضًا من مظاهر الإهمال المتفشيّة. كان كلّ شيء يعمّه الإهمال، حتى مكان تجمع العمال، كان مثالًا آخر من الإهمال واللامبالاة. وحين رجعت إلى البيت، أخبرت زوجها بأنهما يجب أن ينتقلا إلى "بياتنيتسكايا" في أسرع وقت، وأن يذهب إلى المخزن كلّ يوم.

استمرا جالسين في حجرة المكتب فترة طويلة دون أن يتكلما. كان مثقل القلب. لم يكن يريد الانتقال إلى "بياتنيتسكايا"، أو الذهاب إلى المخزن. كان قد فهم ما يدور في فكر زوجته، ولم يكن يرغب في معارضتها، فربت على وجنتها.

ثم سار إلى النافذة وحدّق إلى الشارع، موضحًا أن الإنسان ينبغي أن يبعد وإلى الأبد كلّ فكرة عن السعادة؛ إذ لا وجود لها، فهو لم يعرفها ويشكّ في إمكانية وجودها على الإطلاق. ثم قرر أنه سعد مرة واحدة في حياته: تلك الليلة حين جلس تحت مظلتها. واستدار إلى زوجته مذكرًا إيّاها بالمظلة التي نسيتها عند أخته "نينا". لقد جلس تحت تلك المظلة طوال الليل. كان في حالة من السعادة الكاملة.

أخرج "لابتيف" المظلة من خزانة من الخشب الثمين والبرونز يحتفظ فيها بمجموعة من الأشياء، وقدمها إلى زوجته.

نظرت يوليا" إلى المظلة وابتسمت في حزن، قائلة إنها تتذكّر أنه كان يمسكها في يده وهو يطلب يدها. ثم رجته وهو يستعد لمغادرة الحجرة، أن يعود مبكرًا لأنها تشعر بالوحشة بدونه.

(17)

أصبح "لابتيف" يذهب إلى المخزن كلّ يوم، وراح يبذل جهدًا كبيرًا في تغيير الأوضاع. منع جلد الصبيان، وغشّ الزبائن، وغضب غضبًا عارمًا حين رأى بعض الموظفين يعرضون بضائع قديمة لا تجد من يشتريها على عميل من الأقاليم على أنها أحدث ما في السوق. ورغم أنه أصبح مسئولًا عن المخزن، إلا إنه لم يكن يعرف مقدار تجارته بالضبط، وهل كانت تزدهر

أم لا؟ وكان وكيلا الأعمال الألماني والإنجليزي يعتبرانه أصغر من أن يطلعاه على أسرار المؤسسة. كان العجوز هو الوحيد الذي يعرف.

ذات مساء اجتمع "لابتيف" مع "بوتشكين" الذي كان يعمل عند آل "لابتيف" منذ أن كان في الثامنة من عمره، وكان يعتبر فردًا من الأسرة. تناولا كأسين، ثم رجاه "لابتيف" أن يجيبه بصراحة وشرف عن قيمة رأس مال المؤسسة، ومدخولها، محذرًا إياه بأنهم اعتادوا على قول الحقيقة فقط للأب. وحين رأى تشبثه بعدم الحديث، صرخ غاضبًا مهددًا بأنه إذا لم يكفوا عن معاملته كطفل، فسيغلق المخزن غدًا، فأبيه أعمى، وأخيه في مستشفى المجانين، وبنتا أخته قاصرتان، وهو يكره التجارة من كل قلبه، وسيكون سعيدًا حين يتخلى عنها.

لم يعد هناك مفرّ أمام مثل هذا الموقف الحازم أن يجتمع الثلاثة ويبدأوا في مراجعة الحسابات. ظهر أن الدخل السنوي زاد بمقدار العشر، وأن ثروة "لابتيف" من النقود والأصول تبلغ ستة ملايين روبل.

مأخوذًا بهذه الأرقام، خرج "لابتيف" يستروح نسمة من هواء. كانت ليلة قمرية. وكانت حوائط بيوت موسكو البيضاء تشبه القلعة، ولم يكن ينقصها سوى حارس.

دخل "لابتيف" الحديقة الصغيرة. جلس على مقعد. رأى شجرة كرز مزهرة، وهو يتذكرها من أيام طفولته. ما زالت بنفس تجاعيد جذعها. لم يزد طولها بوصة واحدة. كان كلّ ركن في الحديقة والفناء يستثير فيه ذكريات الماضي البعيد. ولم يكن في كلّ ذلك ذكرى واحدة سعيدة.

كان "لابتيف" واثقًا بأنّ ملايين التجارة التي يكرهها سوف تستعبده تمامًا وتدمر حياته، ورأى نفسه يتعوّد على مكانته تدريجيًّا، ويتخذ سمات مدير المؤسسة التجارية، ثم يتقدم في العمر ويصل إلى الشيخوخة، وفي النهاية يموت كما يموت غيره من الناس الذين لا قيمة لهم بائسًا وعبئًا على مَنْ حوله.

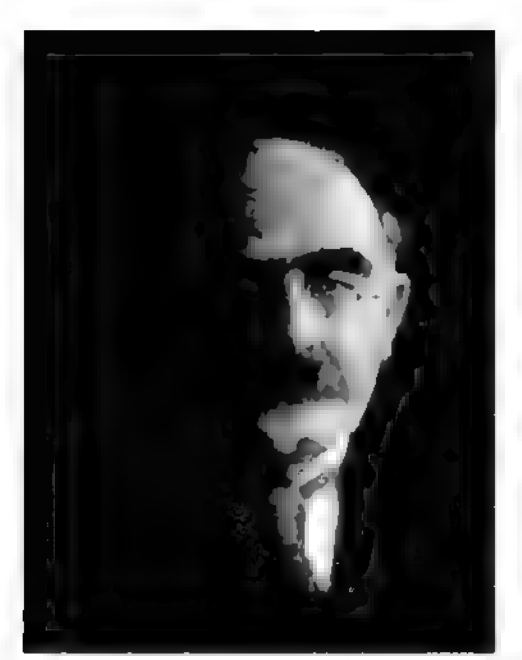
وفاجأه سؤال حائر عمّا يمنعه من هجر التجارة والابتعاد عن كلّ ما كرهه منذ طفولته؟ ثم سؤال آخر عمّا يبقيه هنا؟

لن يتطلب الأمر سوى مجرّد لحظة يأمر فيها بفتح البوابة والخروج إلى الحرّية دون تفكير في العودة إطلاقًا. لكنه لم يتحرّك من مكانه، فاحتقر نفسه مثلما احتقر ذلك الكلب الأسود المستلقي هناك بدلًا من الجري في الحقول والغابات حيث السعادة والحرية. بدا أنه وذلك الكلب عاجزين عن مغادرة المكان لنفس الأسباب القديمة، بعد أن تحولت القيود والعبودية إلى عادة.

ذهب مع "بارتسيف" في ظهر اليوم التالي إلى "بوتوفو" حيث يمضون الصيف. لم يكن قد رأى زوجته منذ خمسة أيام. رأى "يوليا" قرب شجرة حور، ترتدي ثوبًا أنيقًا، وكانت ممسكة بمظلتها القديمة. سألته عن مبرر تغيّبه لأنها كانت تحسّ بوحشة شديدة بدونه. واعترفت له وقد احمرّ وجهها بأنها تحبّه، ثم أوضحت بأنه عزيز جدًّا عليها لذلك فهي سعيدة بوجوده، ورجته أن يتحدث معها. شعر وهي تعلن له عن حبها أنها أصبحت سيدة ناضجة قوية فاتنة. فكّر في نفسه **"كم كبرنا، وما أكثر التغيّرات الهائلة التي حدثت خلال هذه السنوات الثلاث".**

المؤلفون الذين ورد ذكرهم

ريديارد كيبلينج Rudyard Kipling



وُلِدَ الإنجليزي ريديارد كيبلينج (1865-1936) في مدينة بومباي بالهند. أبوه هو لوكوود كيبلينج، منشئ مدرسة الفنون في لاهور. أرسله أبوه كي يتعلم في جامعة "يونيتد سيرفيس" ببيدفورد بانجلترا. رجع في عام 1882 إلى الهند، حيث وجد عملًا في صحف أنجلو- هندية، منها "سيفيل" و"ميلتاري جازيت". وقد ظهرت مقالاته وقصائده أولًا في تلك الصحف، بادئًا عبرها مستقبله الأدبي، ثم جمع تلك القصائد في ديوان "قصائد قصيرة مقسّمة إلى دوائر" (1886).

ظلّ يكتب وينشر أشعارًا وقصصًا قصيرة، وسرعان ما اشتهر كشاعر وككاتب قصص قصيرة، واكتسب شهرة هائلة في الهند. ثم جرّب حظه في بريطانيا بنشر روايته الأولى "الضوء الذي سقط" (1890)، التي لم تحقق له ما كان ينشد من شهرة. لكن الشهرة سرعان ما واتته من أوسع أبوابها مع "كتاب الغابة" (1894). وتوّج في النهاية شاعرًا للإمبراطورية البريطانية، ومدافعًا عنها، وجنديًا مخلصًا لها، ونال شهرةً ومجدًا عن عديد من أعماله، وحصل على جائزة نوبل عام 1907.

نشر آخر أعماله "بعض من نفسي" في لندن عام 1934، ثم مات في 18 من يناير 1936.

لودويج بملمانز Ludwig Bemelmans



هو من مواليد تيرول بالنمسا في 27 من إبريل 1898. انتقل إلى الولايات المتحدة عام 1914 حيث عمل في صناعة الفندقة، وأصبح مواطنًا أمريكيًّا عام 1918. ثم عاد بعد الحرب مباشرةً إلى صناعة الفندقة. أخذ دروسًا في الفن في شبابه لاهتمامه الشديد به، لكنه لم يزمع أن يكون كاتبًا أبدًا، وهو ما تحقق حين كتب أول كتاب للأطفال عام 1934، وتزوج من مادلين عام 1935، ثم نشر أول قصة له عام 1936 علي صفحات مجلة "ستوري". وبدأت كتبه للأطفال تلقى رواجًا شديدًا، وكان يأخذ الكتابة على محمل الجد، ومن كلماته المأثورة "نحن نكتب من أجل الأطفال، لكن ليس من أجل الأغبياء". وهو يعتبر إضافة إلى ذلك كاتب رحلات، وروائي أفضل المبيعات، ورسامًا لأفضل المجلات، وكاتبًا للسينما، وكاتب سير ذاتية. توفي في أكتوبر 1962.

أعيد طبع قصة "بوتزي الصغير" – التي اخترناها للترجمة – مرات عديدة، وكانت قد نشرت في البداية بعنوان "في الداخل والخارج".

شارلوت بيركنز جيلمان Charlotte Perkins Gilman



شارلوت بيركنز جيلمان (3 من يوليو 1860-17 من أغسطس 1935). كانت عالمة اجتماع أمريكية بارزة، روائية، كاتبة قصص قصيرة، شعر، ولها محاضرات في الإصلاح الاجتماعي. كان وجودها استثنائيًّا بالنسبة للمرأة، وكانت بمثابة قدوة للأجيال المقبلة بسبب مفاهيمها وأسلوب حياتها غير التقليدي.

تعتبر قصة "ورق حائط أصفر" التي كانت عن تجربة شخصية للكاتبة من أجمل القصص التي أبدعتها، والتي كانت من أشهر القصص خلال سنوات صدورها وما تزال.



يعتبر ريونوسكيه أكوتاجاوا (1892 – 1927) أبًا للقصة اليابانية القصيرة الحديثة. تفرغ رينوسكيه تمامًا للإبداع بدءًا من عام 1919، ومنحته القصص التي نشرها شهرة في داخل اليابان وخارجها على حدّ سواء. لكن اعتبارًا من عام 1921 بدأت مرحلة تدهور في ظروفه الصحية والنفسية توزّع إبداعه فيها على مرحلتين: الأولى التي استمرت حتى عام 1925 وأبدع فيها قصصًا رائعة، حيث نشر قصته المشهورة "في الأيكة" (1922)، التي استعان بها بعد ذلك المخرج الياباني المشهور آكيرو كيروساوا، مع قصة "راشومون"، ليخرج منهما فيلمه العالمي المشهور "راشومون".

جاءت مرحلة أكوتاجاوا الأدبية الأخيرة، خلال عامي (1926، 1927)، موسومة بظروف صحته الذهنية والبدنية المتدهورة، فجاء كثير من أعماله متأثرًا تمامًا بطابع السيرة الشخصية.

أنجز أكوتاجاوا قصة "الرأس الذي سقط" في شهر ديسمبر 1917، وترجمها "جاي روبين" من اليابانية إلى الإنجليزية.

الفرنسي جي دي موباسان Guy de Maupassant



يعتبر الكاتب الفرنسي جي دي موباسان (5 من أغسطس 1850 - 6 من يوليو 1893) هو الكاتب الأكثر شعبية في القرن التاسع عشر، كما جرى الاعتراف به كواحد من آباء القصة القصيرة الحديثة في العالم. كان ربيبًا لفلوبير، وتتميز قصصه باقتصادها المحكم في البناء ويتصف أسلوبه بالسلاسة والكفاءة. جرت أحداث عديد من قصصه خلال الحرب الفرنسية البروسية في سبعينيات القرن التاسع عشر. وصف في كثير منها عدم جدوى الحرب وتعاطف مع موت المدنيين الأبرياء الذين وقعوا في حومة الصراع، كما تفشت في قصص أخرى أجواء الرعب والقلق والجنون والانتحار، مثل قصة "من يدري؟".

تجاوز ما ألّفه من القصص ثلاثمائة قصة قصيرة، إضافة إلى ست روايات وثلاثة كتب في أدب الرحلات.

جون جالزوورثي John Galsworthy (نوبل1932)



تعلـم الكاتـب الإنجليـزي جـون جـالزوورثي (1867-1933) في هـارو، ودرس القانون في نيو كوليدج بأكسفورد. كان كثير السفر، بدأ الكتابة التي كانـت في البدايـة لمتعتـه الخاصـة وهـو في الثامنـة والعشـرين مـن عمـره. نُشِـرَت قصصـه الأولى تحـت اسـمٍ مسـتعار هـو "جـون سينجون"، ثم أُلغـي ذلـك. تعتبر روايـة "جزيرة المرائين" (1904)، هي أول أعمالـه الهامـة. والكاتـب جـالزوورثي مشهور أساسًا برواياته الطويلة، التي قـد تمتـد إلى عـدّة مجلـدات، وتتنـاول الحياة التاريخيـة لأسرة عـبر عـدّة أجيـال. وكـان "ملحمـة آل فورسـايت" (1906)، هي أول رواياتـه الكبـيرة مـن تلـك النوعيـة، كـما كانـت روايـة "الرجـل ذو الصـفة المميـزة"، نقـدًا للطبقـة المتوسـطة مـن واقـع معايشـة جالزوورثي نفسه. لكنه لم يستمر في ذلك الأمر مباشرةً، إلاّ بعـد أن مـرّت خمسة عشر عامًا وقعت أثناءها الحرب العالمية الأولى، فكتب "آل فورسايت من خلال الأرشيف" (1920)، و"أن تدع" (1921). وفي تلك الأثناء كـان قد كتب عددًا محترمًا من الروايات والقصص القصيرة والمسـرحيات. وقـد

استمرت ملحمة آل فورسايت، من خلال ثلاثة مجلدات: "كوميديا حديثة، القرد الأبيض" (1924)، "مضرب فضي" (1926)، و"أغنية البجعة" (1928). كما كانت هناك مجموعة من القصص القصيرة بعنوان "تغيّرات آل فورسايت" (1930). وقد نال جائزة نوبل عام 1932.

كما كان جالزوورثي كاتبًا دراميًّا يتمتع بمهارات معتبرة، وغالبًا ما تناولت مسرحياته أحزانًا اجتماعية محددة مثل ازدواج العدالة كما يحدث بين الطبقات العليا والدنيا، مثل "الصندوق الفضي" (1906)، ومواجهة رأس المال والعمل في مسرحية "مجاعة" (1909)، وفي عام 1910 نشر مسرحية "عدالة"، أكثر مسرحياته شهرةً على الإطلاق.

تكشف قصة "الاكتمال" عن أهمية الموهبة للفنان، والتي بدونها تفتقد كتاباته الحياة الفنية التي تفتح الطريق أمامها على مصراعيه إلى القراء.

الكاتب الروسي يفجيني زامياتين Yevgeny Ivanovich Zamyatin



الروسي "يفجيني زمياتين" (1884-1937) من مواليد "ليبيديان" التي تبعد بما يقرب من مائتي ميل جنوب موسكو. كان أبوه قسًّا، وأمه امرأة متعلمة محبّة للأدب تعزف على البيانو.

بدأ نشاطه الأدبي عام 1908 بكتابة القصة القصيرة، ونشر أول قصة له، ثم نشر مجموعة "حكايات المقاطعة" عام 1913 التي حققت له أول نجاح أدبي .. وخلال الحرب العالمية الأولى أرسلته بلاده إلى بريطانيا في مهمة لبناء بعض كاسحات الجليد لها، فتأثر خلال تلك الفترة بكلٍّ من "برنارد شو" و"هـ.ج.ويلز"، وقد ألّف في إنجلترا جزءًا من روايته "سكان الجزيرة" التي نشرها عام 1918 في "بتروجراد" بعد أن نال مكانة مرموقة في ظلّ قيام الثورة الروسية عام 1918. وفي عام 1920، كتب رواية "نحن" التي تعتبر من أشهر أعماله، والتي قرأها في اجتماع عقدته جمعية الكتاب السوفيت فحظرت الرقابة السوفيتية نشرها داخل الاتحاد السوفيتي، غير أن مخطوطة الرواية تسرّبت إلى الخارج، ونُشر ملخص لها في داخل البلاد، فقامت جمعية الكتاب بلومه فقدم استقالته من عضويتها.

ورغم المصادرة فقد عرف العالم الرواية من خلال ترجمتها الإنجليزية التي صدرت عام 1924، ثم الفرنسية عام 1929. وفي عام 1931 كتب زمياتين إلى ستالين للسماح له بالسفر مع زوجته إلى باريس، فسمح له حيث استقر هناك حتى توفي في 10 من مارس 1937.

كتب يفجيني زمياتين قصة "الأسد" عام 1935 التي تتمتع بروح فكهة؛ حيث تعتبر الفكاهة عنصرًا هامًّا من ملامح عالم الكاتب، الذي كتب في هذا السياق قائلًا: "تعتبر الفكاهة والضحك صفتان مميزتان للإنسان الصحيح العفيّ الذي يمتلك القوة والشجاعة كي يعيش. إنهما تعبّران عن الفرح بالحياة، الذي يشعر به الواقعيون القدامى والواقعيون الجدد، وهما يميّزان الفرق بين الواقعيين الجدد والرمزيين؛ لأنك عند الرمزيين تجد فقط مجرد ابتسامة، ابتسامة مزدراة على أرض جديرة بالازدراء، لكنك لا تسمعهم أبدًا يضحكون.. وإنّما نسمع ضحكًا في أعماق الواقعيين الجدد، وهو ما يبين لنا أنهم قد تغلبوا بطريقة ما على استعباد الحياة لهم".

وعلى الرغم من أن الأسد في القصة، هو ممثل في زيّ تمثيلي يشارك في باليه، إلاّ أن الكاتب قد حوّل تلك الصورة بشكل كامل إلى مبالغة ذات تأثير أكثر قوة، وأكثر إضحاكًا للقارئ، وهي تقنية فنية شديدة الصعوبة تحتاج إلى مهارة كبيرة وحساسية بالغة!

الروسي آنطون تشيكوف Anton Chekho



آنطون بافلوفيتش تشيكوف (29 من يناير 1860 – 15 من يوليو 1904). كان طبيبًا، وكاتبًا مسرحيًّا لأعمال رائعة مثل "الخال فانيا"، "الأخوات الثلاث" و"بستان الكرز"، كما يعتبر من أعظم كتّاب القصة القصيرة على مرّ التاريخ. كتب أيضًا عددًا من الروايات القصيرة، منها روايته القصيرة "ثلاث سنوات"، التي يلعب فيها الحبّ من جانب واحد دورًا حاسمًا، لكنه يقدم معالجته معجونة برهافة إنسانية نادرة، تمامًا مثلما برز في كلّ أعماله الأدبية الأخرى.

صدر من هذه السلسلة

روائع الأدب العالمي في كبسولة (1) عرض وتبسيط مختار السويفي

روائع الأدب العالمي في كبسولة (2) عرض وتبسيط مختار السويفي

روائع الأدب العالمي في كبسولة (3) عرض وتبسيط مختار السويفي

روائع الأدب العالمي في كبسولة (4) عرض وتبسيط مختار السويفي

روائع الأدب العالمي في كبسولة (5) عرض وتبسيط مختار السويفي

روائع الأدب العالمي في كبسولة (6) عرض وتبسيط مختار السويفي

روائع الأدب العالمي في كبسولة (7) عرض وتبسيط مختار السويفي

روائع الأدب العالمي في كبسولة (8) عرض وتبسيط حسين عيد

روائع الأدب العالمي في كبسولة (9) عرض وتبسيط حمدي عباس

روائع الأدب العالمي في كبسولة (10) عرض وتبسيط حسين عيد

روائع الأدب العالمي في كبسولة (11) عرض وتبسيط حسين عيد

روائع الأدب العالمي فى كبسولة (12) عرض وتبسيط حسين عيد